المكتبة
الإعلامية

الإعلام والتحول الاشتراكى

تأليف

دكتور مختار التهامى

الطبعة الأولى
١٩٦٦



الاعلام والتحول الاشتراكى

تأليف

دكتور مختار التهامى

مدرس الرأى العام والاعلام

كلية الآداب – جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

١٩٦٦



دار المعارف بمصر

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

ملتزم الطبع والنشر ـ دار المعارف بمصر ـ ١١١٩ كورنيش النيل ـ القاهرة ـ ج.ع.م

مقدمة فى نظريات الإعلام والتخطيط الإعلامى فى مرحلة التحول الاشتراكى

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

مطبعة حجازى — القاهرة
ت ٩٣٠٩١٢

مقدمة فى نظريات الإعلام والتخطيط الإعلامى
فى مرحلة التحول الاشتراكى

إن التعجيل بالتحول الاشتراكى فى بلادنا يتطلب - فيما نعتقد - توفر عاملين أساسين :

ثورة مادية : تتمثل فى الزيادة المطردة فى الإنتاج ، لضمان عدالة التوزيع وإتاحة فرص العمل للجميع ، وزيادة الدخل القومى ، أو بمعنى أصح : لتحقيق مجتمع الكفاية والعدل .

وثورة فكرية : مجالها النفس البشرية ، وتتمثل فى التحول العقلى لدى الجماهير عن المثل والقيم والتطلعات البرجوازية الفردية والطبقية المتسمة بالأنانية إلى المثل والقيم الاشتراكية .

ولاشك أن الثورة الأولى تمضى قدما لتحقيق أهدافها . فلقد حققت الخطة الخمسية الأولى معظم أهدافها وبدأ العمل فى الخطة الثانية بطموح كبير ومع ذلك ، فى يقيننا أن استكمال الثورة الفكرية كان من الممكن أن يؤدى إلى تحقيق أهداف الخطة الأولى كاملة بل تجاوزها وإلى اختصار عامين من أعوام الخطة الثانية كما كان مقدراً لها أصلا .

فالعامل البشرى إذن - على مستوى الشعب كله - يؤثر تأثيراً واضحاً فى التخطيط الاقتصادى، وبالتالى فى التعجيل بالتحول الاشتراكى. واستكمال وعى الشعب بأهداف التخطيط الاقتصادى وأهداف المرحلة الحالية من مراحل البناء الاشتراكى وبمسئوليته الجماعية نحو هذا البناء الذى سيجنى حتما ثمراته الدانية منها والقاصية خليق بأن يحمل الشعب على مزيد

من المساهمة الايجابية فى انجاح الخطة الاقتصادية والتعجيل بها : عن طريق مضاعفة الجهد فى العمل والإنتاج وزيادة المدخرات ، والحد من الاستهلاك وتحديد النسل ، وتشديد الرقابة على الانحرافات ، وعدم السكوت عنها أو التهاون فى شأنها .

وفى ظننا أن التخطيط للثورة الفكرية – أو بمعنى أدق التحول الفكرى – يقوم على أسس جوهرية ثلاث هى :

أولا : استكمال الاتحاد الاشتراكى العربى لتنظيماته وكوادره وبروزه كقوة سياسية جماهيرية فعالة ومؤثرة فى مجرى الاحداث فى بلادنا .

ثانيا : التخطيط التعليمى .

ثالثا : التخطيط الإعلامى .

وإذا نظرنا إلى هذه المقومات الثلاثة الأساسية للثورة الفكرية – التى ينبغى أن تصاحب مرحلة التحول الاشتراكى – من الناحية الزمنية لوجدنا أن استكمال الاتحاد الاشتراكى العربى لمقوماته كتنظيم سياسى فعال مازال يقتضى مزيداً من العمل ومزيداً من المعارك مع فلول الرجعية والانتهازية وأعوان الاستعمار والمنحرفين ، كما ظهر من مؤامرات الأخوان المسلمين الأخيرة ، ومن تحركات الاقطاع فى كمشيش والمنيا وغيرهما من مناطق الريف المصرى ، ومن قضايا الاختلاسات والرشوة والاهمال الناجمة عن تسرب بعض العناصر الفاسدة أو المتآمرة إلى بعض مراكز القوة والنفوذ فى الميدان الاقتصادى أو الإدارى أو السياسى .

وهذه المعارك الكثيرة التى أخذ التنظيم السياسى يخوضها بقوة هى دليل صحة ووعى . فكلما ازداد الوعى السياسى وكلما قوى التنظيم كلما توقعنا منه خوض المزيد من المعارك والقضاء على المؤامرات فى مهدها .

والحقيقة أن هذه المعارك التى سيخوضها الاتحاد الاشتراكى حتما لفترة ليست بالقصيرة هى ينبوع القوة المتزايدة لهذا التنظيم السياسى ، التى تربط الجماهير به دائما ، وتزيد من تماسكها والتحامها تحت رايته ، لأنها سرعان ما تدرك بالتجربة والممارسة أن العمل السياسى داخل التنظيم هو السبيل الوحيد المجدى للخلاص من متاعبها ومشاكلها التى ما زالت تثيرها فلول الرجعية القديمة ، وفلول الجهاز الإدارى العتيق ، والعقليـــة الجامدة ، والانتهازية ، فى محاولة أخيرة يائسة للوقوف أمام تيار التطور .

والتنظيم السياسى — فى معاركه الحالية والمستقبلة — يرتبط أوثق الارتباط بالتخطيط التعليمى الطويل المدى ، وبالتخطيط الإعلامى .

التخطيط الاعلامى ونظريات الاعلام :

وتبرز أهمية التخطيط الاعلامى فى عاملين هامين : أولهما شموله عن طريق أجهزة الإعلام لجميع فئات الأمة ، وثانيهما سرعة نتائجه ومن هنا تتضاعف أهميته بالنسبة للتنظيم السياسى كوسيلة أساسية من وسائل تحقيق التحول الفكرى والاجتماعى المنشود .

ويقتضى الحديث عن التخطيط الإعلامى — بادىء ذى بدء — تحديد النظرية أو المفهوم الإعلامى الذى يجب أن تلتزم به أجهزة الإعلام فى بلادنا ، والعاملون بها ، فى مرحلة التحول الاشتراكى .

وهذا يقتضينا بالضرورة التعرض لنظريات الإعلام ، وشرحها ، وتحديد موقفنا منها :

فالمعروف أن نظريات الإعلام الأساسية أربعة : نظرية السلطة ونظرية الحرية ، ونظرية المسئولية الاجتماعية ، والنظرية الاشتراكية ، وقد أضاف كاتب هذه السطور إليها نظرية خامسة وضعنا أسسها فى بحثنا

المنشور بعنوان « الصحافة والسلام العالمى » وهى نظرية المسئولية العالمية .
وسنتحدث فيما يلى عن كل نظرية من هذه النظريات الخمس بإيجاز :

أولا : نظرية السلطة :

ترتبط نظرية السلطة بنظم الحكم الاستبدادية التى لا تؤمن بالديمقراطية ولا بالحريات العامة : وهذه النظرية قديمة قدم الإعلام الحديث نفسه . فحين اخترع جوتنبرج الطباعة الحديثة عام ١٤٥٠ كانت نظم الحكم الاستبدادية هى السائدة فى أوربا ، وكانت هذة النظم تستمد وجودها من سيطرة الاقطاع والكنيسة ، وتتمثل فى فكرة الحق الإلهى المقدس ، وأن الملك أو الحاكم هو ظل الله وخليفته فى الأرض .

وقد ارتبطت نظرية السلطة فى القرن الحالى ارتباطا وثيقاً بالنظم الفاشية ، فالدولة الفاشية تسيطر سيطرة تامة على نشاط أجهزة الإعلام المختلفة — سواء كانت ملكيتها عامة أو خاصة — بغرض تعبئة الشعب تعبئة عدوانية ، خدمة للأهداف التوسعية المحددة فى برنامج الدولة التى تسيطر على الحكم فيها القوى الرأسمالية الاحتكارية المتحالفة مع قادة الجيش — بل ورجال الكنيسة أحياناً — ومع القوى العدوانية العالمية ، بصفة عامة.

ثانيا : نظرية الحرية :

ونظرية الحرية — سواء فى ميدان الإعلام أو الاقتصاد — هى النظرية التى ما زالت سائدة فى بلدان الديمقراطيات الرأسمالية بصفة عامة ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة . وهذا وضع طبيعى : إذ أن المفهوم الغربى للحرية فى ميدان الإعلام نشأ فى حماية المفهوم الرأسمالى للحرية فى الميدان الاقتصادى .

وكما تطور مفهوم الحرية فى الميدان الاقتصادى من حماية الفرد إلى حماية الاحتكارات ، تطور كذلك مفهوم الحرية فى الميدان الإعلامى من حماية الحقوق الديمقراطية إلى حماية المكاسب الاحتكارية .

ففى بداية مرحلة النمو الرأسمالى فى أوربا وفى باكورة الثورة الصناعية كان لا بد للرأسمالية الناشئة من أن ترفع شعار الحرية فى وجه أنظمة الحكم الاقطاعية الاستبدادية التى كانت تقيم العراقيل أمام التطور الصناعى والتبادل التجارى ، وتقف عقبة دون انطلاق قوى الإنتاج .

وفى تلك المرحلة ، انضمت قوى الرأسمالية الناشئة إلى قوى الشعب العاملة ـ التى كانت تسعى كدأبها لاسترداد حريتها والخلاص من العبودية ـ فى جبهة متحدة ضد قوى الاقطاع المتحالف مع الكنيسة . وكان من نتيجة انتصار تلك الجبهة ظهور نظم الحكم المعروفة باسم الديمقراطيات الرأسمالية التى حققت للرأسمالية انطلاقها ولجماهير الشعب العامل نسبياً مزيداً من الحريات السياسية والاجتماعية ، ولكن فى إطار المصالح الرأسمالية ، وذلك بالقضاء على رق الأرض ، ومنح حق الانتخاب فى حدود مرسومة ، والتوسع فى التعليم الأولى ، وتحقيق بعض الإصلاحات الاجتماعية والقضائية .

ولقد ارتبط مفهوم الحرية فى تلك المرحلة الأولى من مراحل التحول الرأسمالى بحق الفرد فى ممارسة نشاطه الاقتصادى مع أقل قدر ممكن من التدخل من جانب الدولة ، على اعتبار أن إطلاق النشاط الفردى ـ فى ظل عامل التنافس الذى صاحب تلك المرحلة ـ من شأنه زيادة الإنتاج ، وتحسينه وخفض الأسعار فى عصر اتسم بندرة الانتاج مما يحقق فى النهاية زيادة فى الرفاهية العامة للمجتمع .

وبطبيعة الحال امتد أثر هذا المفهوم للحرية إلى ميدان الإعلام

فرفعت تدريجياً ــ أو خففت ــ كثير من القيود التى كانت تكبل حريه النشر والصحافة . . .

ومع ذلك فإن تطور الاختراعات الحديثه وما صحبه من تقدم فى وسائل الإنتاج بالجملة وفى وسائل النقل والاتصال ، ومن ميل إلى تكتل رءوس الأموال فى مشروعات كبرى غير متنافسه تحقيقاً للحصول على أكبر قدر ممكن من الربح وتجنبا لأقل احتمال للخسارة ، وتمكيناً من السيطرة على الأسواق العالميه : سرعان ما قضى على المفهوم السابق للحرية بالقضاء على شرطيه الأساسيين ، وهما الفرديه والتنافس .

وفى هذه المرحلة من مراحل تطور الرأسمالية استطاعت الاحتكارات أن تفرض سيطرتها على المجتمعات الغربية ، بدرجات متفاوته ، تبعا لمدى المقاومة الشعبية التى تصدت لها،والتى تختلف بين بلد وآخر وفقا لاختلاف درجة الوعى بين الشعوب .

ومن الطبيعى أن تدرك الرأسمالية الاحتكارية خطورة الصحافة وغيرها من أجهزة الاعلام الحديثة ، فتسعى إلى احتوائها فى عملياتها الاحتكارية لتكون سلاحا لها لا عليها .

والواقع أن التطور الاقتصادى فى صناعة الصحافة قد خدم أهداف الاحتكارات بالطبيعة . فبعد أن كانت صناعة الصحافة صناعة فردية يقوم بها شخص واحد برأسمال بسيط ، أصبحت اليوم كسائر الصناعات ــ صناعة ضخمة تحتاج إلى تركيز رءوس الأموال الكبيرة ، مما أدى إلى انفصالها تدريجيا عن قضايا الرأى والشعوب ، واتجاهها إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح كمشروع تجارى، بجانب استغلالها كسلاح ايديولوجى خطير مسخر فى خدمة الأهداف الاحتكارية .

وهكذا فإن الادعاء بأن هناك فى ذلك العالم – الذى مازال يطلق على نفسه اسم عالم الديمقراطيات الرأسمالية – فرصا متكافئة لنشر الأفكار والآراء المتباينة ادعاء باطل من أساسه .

وإذا كانت الواجهة الديمقراطية المزيفة تسمح أحيانا بصدور بعض صحف الرأى المعادية للاحتكارات، فهى تعلم تمام العلم أن مثل هذه الصحف قصيرة العمر ، مقضى عليها بالافلاس السريع ، فهى لن تستطيع أن تصمد دون اعلانات ، والاحتكارات لن تمدها بها وهى لن تستطيع بامكانياتها المحددة أن تجذب جمهرة قراء الصحف الاحتكارية الكبرى ذات الامكانيات الضخمه التى تجيد فن جذب القارىء بمختلف وسائل الإغراء مع الالتزام بحدود الدور السياسى الأساسى المرسوم لها ضمن إطار خادع من الديمقراطية . . .

ولقد لخص تيودور بيترسون فى أحد فصول كتاب « نظريات أربع للصحافة »[1] أوجه النقد والاتهامات الموجهة إلى الصحافة الرأسمالية فى نقاط سبع ، مع العلم بأنه قد استخدم كلمة الصحافة بمعناها الواسع للدلالة على أجهزة الأعلام عامة :

١ – أنها تستغل قوتها الهائلة فى خدمة أهدافها الخاصة ، فيروج أصحابها لآرائهم ، وخاصة فى الشئون السياسية والاقتصادية على حساب الآراء المعارضة .

٢ – أنها تضع نفسها فى خدمة الأهداف الرأسمالية الكبيرة ، وطالما سمحت للمعلنين بالتدخل فى توجيه سياسة التحرير ومادته .

---

(1) Four Theories of the Press by Siebert, Peterson and Schramm. Urbana, University of Illinois, 1956.

٣ — أنها تقاوم التغيير الاجتماعى .

٤ — أنها كثيرا ما تضفى إهتماما مبالغا فيه على الأمور التافهة والمثيرة أثناء تغطيتها للأحداث الجارية ، وغالباً ما تقسم أبوابها الترفيهية بالسطحية .

٥ — أنها تعرض الأخلاق العامة للخطر .

٦ — أنها تقحم نفسها فى حياة الأفراد الخاصة دون مبرر عادل .

٧ — أن هناك طبقة إجتماعية إقتصادية واحدة تتحكم فى الصحافة هى طبقة أصحاب الأعمال الاحتكاريين . وقد أصبح من الأمور البالغة المشقة دخول اناس جدد إلى ميدان الصناعة الصحفية مما يعرض سوق الفكر الحر لخطر أكيد .

ولعل فى هذه النقاط الكفاية لتبيان حقيقة الحرية المزعومة للصحافة وأجهزة الاعلام ـ الحرة ـ فى البلدان الرأسمالية ، وللرد على المتشدقين من المفكرين الرجعيين ومن المبهورين بفكرة « اللبرالية » التى عفى عليها الزمن ، ولم تعد فى عصر الاحتكارات اليوم سوى لافته براقة لخداع الجماهير وصرفهم عن تبين المفهوم الحقيقى للحرية فى البلدان الرأسمالية، وهو المفهوم الذى يرتبط أوثق الارتباط بحرية الاحتكارات فى استغلال الشعوب والسيطرة على الحكومات وتعكير السلام العالمى ، بل وأشعال الحروب وقتل ملايين البشر المسالمين فى سبيل تحقيق أغراضها .

ثالثا : نظرية المسئولية الاجتماعية :

بعد الحرب العالمية الثانيـــة ، ارتفعت أصوات كثيرة حتى فى البلدان الرأسمالية نفسها تحتج على مدى الانحدار والانحلال الذى وصلت إليه الصحافة الحرة المزعومة وتدعو إلى ضرورة وضع حد لهذا .

ومن بين هذه الأصوات أصوات كثير من المصلحين من رجال المهنة أنفسهم ومن أساتذة الصحافة والمثقفين .

وقد أدت هذه الحركة إلى تأليف كثير من اللجان للتحقيق فى وضع الصحافة فى تلك البلدان وايجاد علاج لما وصلت إليه من حال .

وكان من نتيجة هذا كله ظهور نظرية جديدة فى ميدان الإعلام فى البلدان الرأسمالية هى « نظرية المسئولية الاجتماعية » لتحل مكان نظرية « الحرية المطلقة » بعدما ثبت من سوء استغلال أصحاب رءوس الأموال لهذه النظرية مما عرض البنيان الأخلاقى للمجتمع نفسه إلى الانهيار .

وعلى الرغم من أن أصحاب هذه النظرية يربطونها بمثل أخلاقية خالصة دون أقل تعرض للقيم السياسية والاجتماعية الرأسمالية - وهذا أضعف الايمان - فإن هذه النظرية مازالت تواجه معارضة شديدة جداً من جانب الصحافة وأجهزة الإعلام، وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية التى مازالت ترفع شعار « الحرية » الوهمية وترفض أى تدخل فى شئونها .

أما فى انجلترا فقد كان من ثمرات هذه النظرية إنشاء المجلس الأعلى للصحافة فى محاولة للمحافظة على مستوى أخلاقى معقول للمهنة .

وكما ذكرنا : فإن هذه النظرية نظرية إصلاحية تربط العاملين فى أجهزة الإعلام بنواه ومواثيق خلقية خالصة ، ولا تتعرض لأية قيم إيجابية كالدعوة إلى محاربة الاحتكارات ومقاومة الاستغلال مثلا ، أو القضاء على الحرب الباردة ، أو مساعدة الشعوب المناضلة فى سبيل التحرر . فهذه أمور لم تخطر على بال المصلحين المتواضعين من رجال الاعلام فى الغرب .

رابعا : النظرية الاشتراكية فى الاعلام :

وهذه النظرية يطلق عليها علماء الإعلام فى الغرب اسم «النظرية السوفيتية» باعتبار أن الاتحاد السوفيتى كان أول بلد يطبق هذه النظرية ، ومع ذلك فإن هذه التسمية لم يعد لهـا اليوم ما يبررها بعد أن انتشرت نظم الحكم الاشتراكية فى أكثر من دولة ، واختلفت أساليب التطبيق الاشتراكى بين دولة وأخرى طبقا للأوضاع المحلية فى كل دولة .

وتقوم النظرية الاشتراكية فى الإعلام على دعائم أساسية هى :

١ — ملكية الشعب للصحافة .

٢ — ربط الصحافة وأجهزة الإعلام بالمجتمع الاشتراكى ربطا وثيقا، وتحديد دور إيجابى يلتزم به جميع العاملون فى الميدان الإعلامى .

ولعل الكلمات التالية التى نشرتها جريدة البرافدا السوفيتية عام ١٩٢١ للينين أن توضح المهمة الاجتماعية للجريدة ، ومفهوم الإعلام عامة فى النظم الاشتراكية :

« لا بد للجريدة من أن تكون جهازاً من أجهزة الجهاد والكفاح ، بحيث لا يمد القارىء بأخبار منظمة وصادقة عن اقتصادنا فحسب، بل تقصد كذلك إلى تحليل هذه الأخبار ودراستها دراسة عقلية ، لكى تصل آخر الأمر إلى نتائج صحيحة فيما يختص بالحركة العمالية ، وعليها كذلك أن تحث عمال الجبهة الإقتصادية على العمل ، وأن تجتهد فى نشر تقارير دقيقة عن كل ذلك ، وعليها أن تقدر العمل الجيد فتمدحه ، وتفضح أمام الرأى العام جميع العمال غير الصالحين أو المهملين وعلى الجريدة أيضاً أن تربى الأمة تربية سليمة ، وتسوق إليها أمثلة ملموسة ، وتقدم لها النماذج المشتقة من مجالات الحياة العامة . كما يجب عليها أن تشرح ـ على ضوء الاشتراكية العلمية جميع الأحداث التى يمكن أن تقع فى حياة العمال. وعليها كذلك أن تسهر على رعاية

المبادىء الاشتراكية فى مجالات العلوم والفنون والآداب ، وعليها أن تكافح فى غير هوداة ضد الروح البرجوازية ، وأن تجاهد من أجل تنمية الشعور بالواجب الاجتماعى فى القطاعات الشعبية ، وأن تدعو بالحاح إلى زيادة القوة الانتاجية والقوة الدفاعية للوطن الذى نعيش فيه » .

وليس من شك أن هـذا الدستور الإعلامى الذى وضعه لينين لدور الصحافة فى الاتحاد السوفيتى يوضح النظرية الاشتراكيه فى الإعلام، ويحتوى على مادة طيبة يمكن لأجهزة الإعلام الاسترشاد بها فى جميع البلدان التى تطبق الاشتراكية بغض النظر عن اختلاف سبل التطبيق .

خامسا : نظرية المسئولية العالمية :

وتستهدف هذه النظرية ربط أجهزة الإعلام والعاملين فيها بمسئوليات محددة ، مستقاة من واقع المجتمع الدولى الحديث ومن دراسة الاتجاهات والأوضاع السياسية والاقتصادية والنفسية التى تعتمل فيه ، بغية تحقيق المساهمة الإيجابية لأجهزة الإعلام فى معركة الوجود الانسانى نفسه ، فى عالم تتهدده الحرب النووية ، وتلعب بأقداره المصالح الاحتكارية الدولية دون وازع من ضمير أو عقل .

وفى كتابنا « الصحافة والسلام العالمى : مشروع دستور دولى للصحافة مستق من تحديد مهمة الصحافة فى المجتمع الدولى الحديث » شرح واف للالتزامات التى ألقيناها على عاتق أجهزة الإعلام فى ضوء نظرية المسئولية العالمية التى ننادى بها . وللقارىء أن يرجع إلى النص الكامل لمشروع الدستور المذكور إن شاء ومع ذلك فقد أوردنا فى ملاحق هذا الكتاب الباب الثانى من مشروع الدستور ، وهو « عهد الشرف الدولى للصحفيين » تسهيلا للباحثين . فنحيل القارىء إليه .

وبعد فان هذا العرض لنظريات الاعلام قد حمل فى طياته الاجابة على تساؤلنا عن موقف أجهزة الاعلام فى بلادنا من هذه النظريات .

فمما لا جدال فيه أن الإعلام فى بلادنا يرتبط بالنظرية الاشتراكية فى الإعلام بحكم النظام الاشتراكى القائم ، وبحكم المسئوليات الجسيمة التى حملها له الميثاق الذى وضع مهمة الصحافة على قدم المساواة مع مهمة المجالس النيابية حيث يقول : « ولكن الصحافة الحرة يجب أن تكون رقيباً أميناً على أداة الإرادة الشعبية شأنها فى ذلك شأن المجالس النيابية » .

ولقد أوضح قانون تنظيم الصحافة ومذكرته التفسيرية بما لا يدع أى مجال للشك — حين خلص الصحافة من عبودية رأس المال الخاص وملكها للجماهير الشعبية ، العريضة ، ممثلة فى الاتحاد الاشتراكى العربى — أن بلادنا ترفض المفهوم الرأسمالى لحرية الإعلام الذى لا يعنى سوى حرية الاحتكارات المسيطرة على أجهزة الاعلام فى تلك البلاد. فمفهوم الحرية الفردية فى بلادنا يرتبط بحرية الفرد فى التخلص من الاستغلال ـ لا فى الوقوع فى عبوديته ـ وفى منعه فى الوقت نفسه من استغلال الآخرين مادياً أو معنوياً والسبيل إلى ذلك كما أوضح الميثـــاق هو إنهاء سيطرة الطبقة الواحدة . . .

إذن فارتباط الصحافة فى بلادنا ـ بمعناها الواسع الشامل لكافة أجهزة الإعلام الجماهيرية ـ بالنظرية الاشتراكية فى ميدان الاعلام المحلى أمر واضح، كان من المفروض ألا يحتاج إلى مزيد من النقاش وكذلك ارتباطها بنظرية المسئولية العالمية فى ميدان الاعلام العالمى. ومع هذا يبدو أن الظروف التى أحاطت فى الماضى بإعداد الصحفى فى بلادنا قد أثرت تأثيراً كبيراً فى فهم بعض العاملين فى أجهزة الاعلام عندنا ، وفى تصورهم ، وفى وضوح الرؤيا لديهم ، فجمدوا ، عن مسايرة ركب التحول الاشتراكى أو انحرفوا عنه ، مما ينعكس أثره على قيام بعض هذه الأجهزة بمسئولياتها فى هذه المرحلة على النحو المنشود .

ولو حللنا اسباب هذا الجمود أو الانحراف لكان من اليسير ان نحصرها في النقاط التالية :

١ – سيطرة عقلية المدرسة الصحفية الأمريكية – التى نقلتها إلينا دار أخبار اليوم - على الأجواء الصحفية والاعلامية فى بلادنا، وهى مدرسة غريبة عن تقاليدنا الأخلاقية والاجتماعية الأصيلة ، فضلا عن عداء هذه المدرسة الصريح للفكر الاشتراكى بحكم ظروف نشأتها .

٢ – سيطرة المفهوم الغربى للحرية على عقول عدد كبير من العاملين بأجهزة الاعلام دون ما محاولة من جانبهم للمناقشة الموضوعية لهذا المفهوم ، وأجهزة التعليم الجامعى مسئولة إلى حد ما عن ذلك .

٣ – الادعاء المغرض بأن مبدأ الالتزام الذى تتطلبه النظرية الاشتراكية فى الاعلام – سواء بالنسبة للعاملين فى حقل الاعلام أم فى حقل الأدب والفن الوثيقى الصلة بالاعلام – مقيد لحرية العقل والتفكير ولعملية الخلق والابتكار، فى حين أنه من أولى أسس النظرية الاشتراكية فى الاعلام خلق الظروف وإتاحة الامكانيات الكاملة والحماية التامة لحرية العقل والتعبير ، والعمل الخلاق دون قيود يفرضها نظام اقتصادى مستغل .

٤ – وجود فئة قيادية رجعية ، ذات نفوذ قوى وصلات واسعة فى صفوف رجال الصحافة والاعلام ، تعمل جاهدة على إفساد التخطيط الاعلامى السليم فى مرحلة التحول الاشتراكى ، وتلبس ثوب المدافع الصلد عن الحريات العامة !! بمفهومها اللبرالى الغربى .. وتتخفى وراء دعوى محاربة الشيوعية كى تحارب الاشتراكية وترهب الاشتراكيين ، وتشغل أجهزة الدولة بأعداء وهميين ، فتضرب عصفورين بحجر واحد : بإتاحة الفرصة لعملاء الرجعية والاستعمار للعمل بهدوء – كما حدث

فى مؤامرة الإخوان المسلمين — وبإبعاد العناصر الاشتراكية المخلصة عن المساهمة الفعالة فى عملية التحول الاشتراكى وكشف الرجعية — كما حدث فى مؤامرة الاقطاع فى كمشيش . . . .

من العرض السابق تتضح بجلاء تلك الأسس التى يجب أن يقوم عليها ـ فى رأينا ـ التخطيط الاعلامى فى بلادنا والتى يمكن أن نلخصها فى النقاط التالية :

أولا : المبادرة إلى إبعاد فلول القيادات الرجعية عن ميدان الاعلام ، وإحلال قيادات اشتراكية مخلصة مكانها .

ثانيا : الالتزام الصريح لكافة العاملين فى حقل الاعلام والفن والأدب بالنظرية الاشتراكية فى الاعلام ، وحبذا لو بادرت أمانة الفكر والدعوة بالاتحاد الاشتراكى العربى باتخاذ الخطوات الحاسمة للانتهاء من إعداد « دستور المثقفين » الذى وضعت إحدى لجانها مشروعاً مبدئياً له .

ثالثا : الالتحام المباشر لأجهزة الإعلام بجماهير الشعب العامل عن طريق تسهيل وصول هذه الأجهزة إلى القرية والمصنع ، لا لتوزيع الأفكار والأنباء فحسب ، بل أيضا لاستقبال الأنباء والأفكار ، وتبين التيارات السائدة فى المجتمع ومناقشتها . وذلك تحقيقا لأهداف الثورة الفكرية التى تحدثنا عنها فى صدر هذه المقدمة .

رابعا : الارتفاع بمستوى العاملين فى أجهزة الاعلام ـ على اختلاف درجاتهم ـ سياسيا ومهنيا عن طريق تنظيم الحلقات الدراسية ومعسكرات العمل الميدانى . كما يقتضى الحال أيضا المبادرة إلى إنشاء كلية شاملة لكافة فروع الاعلام على المستوى الجامعى .

وبعد ، فسيجد القارىء فى فصول هذا الكتاب — الذى نضعه اليوم بين يديه اقتراحات أخرى تفصيلية تتناول كل جهاز من أجهزة الاعلام فى بلادنا . وأملنا كبير أن تكون هذه المقترحات فاتحة لمناقشة عامة شاملة عن دور الاعلام فى بلادنا فى مرحلة التحول الاشتراكى . . .

مايو ١٩٦٦ **مختار التهامى**

الإعلام والتحول الاشتراكي

الفصل الأول

الصحافة



الصحافة

تتميز الكلمة المكتوبة على الكلمة المسموعة بأنها تتيح للقارئ فرصة كافية لاستيعاب معناها ، كما أنها تترك له حرية اختيار الوقت المناسب للاستمتاع بها والرجوع إليها ، وينطبق هذا أيضاً بالنسبة للصورة المطبوعة وخاصة الصورة الإخبارية حيث تتاح الفرصة لاعادة النظر فى تفاصيلها والتدقيق فى مغزاها .

ولعل هذه الميزة هى التى جعلت للصحافة هذا الأثر العظيم فى حياة الجماهير فى العصر الحديث حتى لتعد الصحافة من أول العوامل التى تؤثر فى توجيه الرأى العام سواء على المستوى المحلى أو الاقليمى أو العالمى .

يضاف إلى ذلك أن الصحافة فى معظم الأحيان وسيلة الإعلام الأساسية بالنسبة للملايين الذين يطالعون الصحف يوميا ، وهى التى تجذب انتباه الناس إلى كثير من الموضوعات بمتابعة النشر والتعليق عليها واستجلاء آراء الأطراف المختلفة التى يهمها هذا الموضوع أو ذاك ، وهكذا تستطيع الصحافة عن طريق العرض والمناقشة والمتابعة أن تكون رأيا عاما حول مسألة أو مسائل لولاها لظلت بعيدة عن تفكير الناس وانتباههم — اللهم إلا عدداً قليلا منهم — وربما كانت ذات أهمية حيوية بالنسبة لمستقبل الأمة أو الإنسانية .

فالصحافة بحق هى واضعة جدول المناقشات اليومية للجماهير ، وهى بفضل هذا وبفضل اختيارها لما ينشر ومالا ينشر سلاح فعال فى تكوين الرأى العام وتوجيهه .

ولعل الكلمات التالية التى جاءت على لسان نكيتاخروشوف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى ورئيس الوزراء السابق فى حديث له تناول فيه دور الصحافة فى الاتحاد السوفيتى ، لعل هذه الكلمات على لسان أحد كبار ساسة العالم أن توضح مدى قوة هذا السلاح الرهيب — سلاح الصحافة — وفعاليته .

قال خروشوف فى معرض نقده لانحرافات بعض محررى المجلات الأدبية:

« لقد أخذوا يغفلون أن الصحافة هى سلاحنا الفكرى الأيديولوجى الرئيسى ، وأن من واجبها التنكيل بخصوم الطبقة العاملة بل بأعداء العاملين جميعاً ، وإذا كان الجيش لا يستطيع خوض القتال دون سلاح فكذلك الحزب لا يستطيع ممارسة أعماله بنجاح فى الميدان الفكرى الايديولوجى دون أن يتزود بسلاح الصحافة الماضى البتار ، ومن ثم يستحيل علينا أن نترك الصحافة فى أيد غير أمينة ؛ فهى لا بد من أن توضع بين أشد الأيدى أمانة وأجدرها ثقة ، ولابد أن يتولاها أرسخ الناس عقيدة سياسية وأكثرهم إخلاصا لقضيتنا » .

والواقع أن تأثير الصحافة على الإنسان المعاصر لا يقتصر على المسائل الهامة الحيوية بل يمتد إلى كافة نواحى حياته ، فهى تؤثر فى ذوقه وميوله ، وأخلاقياته ومثله ، وفى إختياره لطعامه وشرابه وملبسه ، وتؤثر فى فهمه لمعنى الجمال والعدل والحرية بل فى تقييمه للناس وفى حكمه على الأشياء .

ظهور الصحافة وتطورها

والصحافة وسيلة حديثة لإرضاء حاجة قديمة تتمثل فى نشر الأنباء وإعلام الجماهير بالأحداث الجارية يوما بعد يوم[1] .

---

(١) البيع : الرأى العام الحديث

فالشعوب البدائية التى كانت تعيش فى مجتمعات صغيرة لايتجاوز عددها بضع مئات أو آلاف قليلة من الناس كانت تستقبل الأخبار عن طريق الكلمة الشفوية المتداولة من فم إلى فم .

ففى أثينا وروما القديمتين كانت الأحاديث المتداولة فى الأماكن العامة كالحمامات وساحات المعابد وحلبات الرياضة الوسيلة الأساسية لنقل الأخبار ، وإن كان هناك أيضاً عمال رسميون لجمع الأخبار على المستوى الرسمى ونقل الرسائل الإخبارية ، وقد استخدمت هذه الأساليب نفسها تقريبا فى نقل الأخبار فى العصور الوسطى .

والمعروف أن الفراعنة فى مصر القديمة كانوا يلجأون إلى معابدهم وألواحهم وأحجارهم لتدوين حياتهم وأحوالهم التاريخية والحربية والسياسية والاجتماعية ، فكان الأمير المصرى إذا أراد أن يعرف الشعب خبراً من الأخبار يأمر بتدوين هذا الخبر على الأحجار ووضعه عند مداخل المعابد حيث تفد جموع الشعب للعبادة .

وفى مصر الإسلامية حل المسجد مكان المعبد القديم فى نشر الأخبار وإذاعتها ، فاستخدمت منابر المساجد وكذلك مآذنها لاعلان الأخبار الهامة المتصلة بحياة المسلمين كلما جد فى حياتهم جديد حيث يجتمع الناس على هيئة ما يشبه الجمعية العمومية .

وعندما إزدادت المدن المصرية حجما وتطرفت أحياؤها لم يعد المسجد كافيا لإذاعة الأخبار بين المصريين ، فاتخذ الولاة المنادين أداة للاعلان ، وما زالت هذه الطريقة الاخبارية — طريقة المنادين — معروفة إلى الآن وخاصة فى بعض قرى الريف المصرى حيث يطلق المنادون فى القرية

والقرى المجاورة يذيعون أخبار المجتمع الصغير من أفراح وأتراح وأطفال تائهة أو أغنام ضائعة[1] .

وتعتبر كراسات الأخبار المنسوخة باليد — ثم المطبوعة حين ظهرت المطبعة — والتى راجت فى مدن إيطاليا بصفة خاصة فى القرن الخامس عشر والسادس عشر الصورة البدائية للصحافة الحديثة . وقد ساعدت الحياة الفكرية والتجارية والاجتماعية فى تلك الفترة على انتشار تلك الطريقة الإخبارية ، فالإيطاليون فى ذلك الوقت شعب راجت تجارته وانتعشت معارفه وعلومه وأصبحت له السيطرة الفكرية على معظم أرجاء أوربا فكان طبيعياً أن يهتم نبلاؤه وأغنياؤه ومفكروه بأخبار دويلات أوربا والبلاد الأجنبية فيما وراء البحار ، فكان أن ظهرت طائفة من التجار تخصصت فى صناعة الأخبار ونسخها . وكان لهؤلاء التجار المتخصصين وكلاء مراسلون داخل أوربا وبين عمال السفن وضباط الجيش ورجال البلاط هنا وهناك .

ورغم اختراع الطباعة فى القرن الخامس عشر فإن العالم لم يعرف الصحف المنتظمة الصدور إلا بعد ذلك بقرنين من الزمان ، على أن ظهور الصحافة المنتظمة فى القرن السابع عشر لم يكن يعنى أنها قد أصبحت أداة فعالة سواء لنقل الأخبار أو للتأثير على الرأى العام .

فحين ظهرت أول صحيفة فى انجلترا عام ١٦٢٢ باسم الأخبار الأسبوعية Weekly Newes اقتصرت الأخبار الواردة فيها على الأخبار الخارجية فقط ، لاعتقاد السلطات الحاكمة أن أخبار البلاد البعيدة ليست على شىء من الخطورة أو الضرر بالنسبة للرأى العام ، ولذلك لم يكن للصحف الأولى

---

(١) ابراهيم عبده — تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية — الفصل الأول

فى انجلترا تأثير أو خطورة الأحاديث التى كان الناس فى ذلك الوقت يتداولونها شفاها فى مقاهى لندن أو التى كانت تظهر فى الرسائل الإخبارية التى كانت توزع على المشتركين فى لندن والأقاليم .

وكان وضع الصحافة فى فرنسا أول ظهورها مماثلا لوضعها فى انجلترا ، فالجازيت الفرنسية التى أسست عام ١٦٣١ كانت جريدة رسمية تحدد السلطات ما ينشر فيها وما لا ينشر ، وما ينبغى أن يصل إلى الرأى العام وما لا ينبغى أن يلم به الرأى العام .

ولم تتحرر الصحافة الفرنسية من هذا الوضع إلا فى خضم الثورة الفرنسية وخاصة فى المرحلة الأولى منها ، لذلك لم يكن من الغريب أن يتداول فى تلك المرحلة تعبير « الرأى العام » لأول مرة فى التاريخ .

أما الصحافة الانجليزية فقد ظلت حتى وثيقة الإصلاح عام ١٨٢١ — أى أكثر من قرنين من الزمان — دون أن يكون لها أى تأثير سياسى فعال أو أى نفوذ مستقل .

على أية حال ، ما إن قارب القرن التاسع عشر على نهايته حتى كانت الصحافة قد أصبحت فى كثير من بلاد العالم منافسا خطيراً للبرلمانات نفسها كمنبر للجدل السياسى وكقوة خطيرة تستطيع أن تغير القوانين وتطيح بالحكومات ، بل تستطيع أن تناقش أسس الحكم نفسه ونظامه ، وبذلك استطاعت أن تنتزع لنفسها — عن حق — لقب السلطة الرابعة فى الدولة الحديثة بعد سلطة الحكومة والبرلمان والقضاء .

ويمكن أن نرجع سبب ذلك إلى ثلاثة عوامل رئيسية هى نفسها العوامل التى أدت إلى ازدياد قوة الرأى العام ونفوذه وهى :

اولا : قيام المدن الصناعية الكبرى ونمو الطبقة الوسطى وظهور الطبقة العاملة .

ثانيا : التوسع فى التعليم وفى حق الانتخاب وانتشار المثل الديمقراطية والاشتراكية .

ثالثا : التقدم الفنى فى صناعة الصحافة وفى وسائل المواصلات والاتصال .

وقد أدت هذه العوامل الثلاثة إلى ازدياد رواج الصحف وعظم نفوذها حتى صار لها هذا الوضع المميز فى عالمنا المعاصر الذى يمكن أن نصفه بحق « بعصر الصحافة » .

الصحافة وتوجيه الجماهير :

كثيراً ما تتهم الصحافة بأنها تعرض العالم من جانب واحد أو من وجهة نظر واحدة فقط ؛ بمعنى أن هناك دائماً اختيارا لمواد بعينها تصاغ بطريقة بعينها ثم تجرى متابعتها وإبرازها فى الصحف . وهـذا الاختيار قد يكون مبرره الصالح العام أو المصالح الخاصة بغض النظر عن اتفاقها أو اختلافها مع الصالح العام .

وربما جال هـذا الخاطر فى ذهن المستر رامزى ماكدونالد الذى كان رئيساً للوزارة البريطانية فى خضم الأزمة الاقتصادية العالمية حين وجه كلامه للصحفيين الذين حضروا مؤتمره الصحفى الذى عقده فى سبتمبر ١٩٣١ لإعلان خروج بريطانيا عن قاعدة الذهب فقال : « إن الطريقة التى ستعرضون بها هذا الخبر على الجمهور غـداً هى التى ستحدد : ما إذا كان سيحدث ذعر مالى ونهب لمخازن الأطعمة وما شابه ذلك ، أم سيسود الناس الهدوء والثقة

بل والشعور بأن هناك أياما أفضل فى طريقها إليهم ،غدا ـ أيها السادة ـ ستكون حكومة هذه البلاد وديعة بين أيديكم[1] » .

ولعل من المناسب أن ننقل هنا النصيحة التى وجهها الأستاذهارولد لاسكى فيلسوف حزب العمال البريطانى إلى طلبة الصحافة فى مقدمته لكتاب « الصحافة والشئون العالمية[2] » فقد نصحهم بأن يضعوا الحقائق الأربع التالية نصب أعينهم دائما :

١ ـ أنه لا توجد حكومة فى العالم لا تعمل على توجيه الأنباء الوجهة التى تخدم مصالحها .

٢ ـ أن هناك هيئات كثيرة تعمل فى جمع الأنباء يلون بعضها الأخبار بما تمليه عليه تحيزاته .

٣ ـ أن للمراسلين ماسماه مستر جستس هولمز «وزنهم الخاص للأمور» مما يلون بالضرورة الأخبار التى يرسلونها .

٤ ـ أن لمكاتب التحرير هى الأخرى قيمها الخاصة التى تضفيها على عملية اختيار الأنباء وطريقة تقديمها للجمهور .

تحليل محتويات الصحيفة :

من السهل ـ إذا ما تصفحنا أية جريدة ـ أن نقسم محتوياتها إلى أقسام ثلاثة بالنسبة لمدى تأثيرها على الرأى العام ، فليست جميع محتويات الصحيفة ـ بطبيعة الحال ـ ذات صبغة جدلية تدعو إلى احتدام النقاش وتبادل الآراء .

---

(١) لامبرت : الدعاية ص ٥٦ ، ٥٧

(٢) ر . و . ديزموند : الصحافة والشئون العالمية ١٩٣٧

وهذه الأقسام الثلاثة هى :

أولا : قسم ليس له علاقة عادة بتوجيه الرأى العام : كالنشرة الجوية وصفحة الوفيات والاجتماعيات والقصص المسلسلة ونشرة برامج الإذاعة والسينما والتليفزيون والإرشادات التى تطالعنا بها صفحة المرأة فى مسائل الطعام والبيت والأسرة . فهذه الموضوعات وأمثالها لا تثير النقاش عادة على نطاق عام وليست موجهة ـ فى المقام الأول ـ إلى تكوين رأى عام معين حول مسألة معينة وإن كانت هناك أحيانا استثناءات تفرضها أوضاع معينة مثل الحملة على الإسراف والدعوة إلى الادخار فى البلاد النامية أو الحملات المغرضة التى تقوم بها بعض الجهات الاستعمارية والتى تستغل عادة جميع أبواب الصحيفة لتحقيق أغراضها الدعائية سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة . ومن أمثلة هذه الحملات المستتره الحملة التى خاضتها بعض الصحف النسائية فى ألمانيا الغربية عام ١٩٦٣ بتحريض من الصهيونية العالمية ضد زواج الألمانيات بالأزواج المصريين الذين صورتهم تلك الصحف بمظهر القسوة والوحشية فى معاملة زوجاتهم .

ثانيا : قسم له علاقه غير مباشرة بتوجيه الرأى العام : فلا شك أن المواد الغيبية والهزلية والمثيرة تؤثر فى المستوى الثقافى والخلق للجمهور وكذلك أخبار الطلاق والفضائح والجريمة والمحاكمات المثيرة .

ثالثا : قسم له علاقه مباشرة بتوجيه الرأى العام : كالافتتاحيات والكاريكاتير والأعمدة والخطابات الموجهة إلى المحرر والمقالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنقد الأدبى والفنى ، فهذا القسم من مواد الجريدة يتسم بالتحيز المتعمد الذى يرمى إلى التأثير المباشر فى الرأى العام .

وينطبق هذا الكلام أيضاً على أخبار مسابقات الجمال التى تحشر فيها أسماء المنتجات المعلن عنها فى الصحيفة ، وكذلك كافة المساحات المخصصة

للإعلان والتى يقصد بها التأثير فى رأى الجمهور بالنسبة لأفضلية السلع المعروضة فى الأسواق .

بل لقد شاهدنا فى بعض صحفنا أمثلة لاستخدام الإعلان لأغراض سياسية بحته موجهة مباشرة لمحاولة التأثير فى الرأى العام مثل الإعلان المغرض الذى نشرته شركة أرامكو فى جريدة الأخبار عن استمرار تدفق البترول فى أنابيبه ، وكان ذلك فى صبيحة خطاب السيد رئيس الجمهورية فى الأزهر الشريف فى خضم العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ الذى أعلن فيه سيادته تدمير الشعوب العربية لأنابيب البترول المارة ببلادها تضامنا مع الشعب المصرى ، ومن أمثلة استغلال الإعلان أيضا فى أغراض سياسية تلك الفقرات التى كانت تنشرها السفارة الأمريكية بالقاهرة فى صحفنا اليومية نقلا عن مشروع ايزنهاور لملء الفراغ فى الشرق الأوسط بعد اندحار العدوان الثلاثى وهو المشروع الاستعمارى المقنع الذى رفضته الشعوب العربية قاطبة .

الصحافة والرأى العام

إلى أى حد تؤثر الصحافة فى الرأى العام وإلى أى مدى تعكس محتويات الصحيفة اتجاهات الرأى العام ؟

الواقع أن الإجابة على هذا التساؤل تتصل اتصالا وثيقا بالنواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى كل بلد على حدة ، ذلك أن تأثير الصحافة يختلف باختلاف الحضارات والأمم .

إذ تختلف محتويات الصحيفة وتأثيرها على الرأى العام فى دول الدكتاتوريات الفاشية عنها فى الدول الاشتراكية أو دول الديمقراطيات الرأسمالية .

فى النظام الفاشى تعتبر الصحافة مجرد جهاز للدعاية يستغله الزعيم الملهم وهو فى الوقت نفسه عميل الاحتكاريين والعسكريين المهووسين — للتغرير بجمهرة الشعب ومتوسطى الثقافة وقليلى الحظ من الوعى السياسى .

أما فى الدول الاشتراكية فتعتبر الصحافة جهازا أساسيا للاعلام ونشر الوعى المستنير المبنى على التقدير السليم للأمور عن طريق نشر الحقائق وإفساح المجال للنقد والنقد الذاتى . فصالح الشعب هى التى تتحكم عادة فى توجيه الصحافة فى تلك البلاد ولذلك تكون استجابة الرأى العام لصحافته التى عودته على الصدق والإخلاص قويا دائما .

أما فى الدول الرأسمالية الديمقراطية فقد أثبتت التحقيقات والإحصاءات الدقيقة أن أجهزة الصحافة خاصة والاعلام عامة تكون فى معظم الأحيان ملكا للمصالح الإحتكارية ، وقلما توجد صحيفة حرة بالمعنى الصحيح وإن وجدت فهى غالباً ماتكون ضعيفة فى رأسمالها وفى إمكانياتها ، قصيرة فى عمرها .

وقد أدى هذا الوضع فى دول الديمقراطيات الرأسمالية إلى إضعاف ثقة الرأى العام بصحافته ، ولقد نشر ل . سفيرسكى عام ١٩٤٧ فى كتابه المعنون باسم «صحيفتك» تقريرا عن التخلخل فى ثقة الرأى العام فى الصحافة الأمريكية جاء فيه ما يلى :

« على الرغم من أن الصحف الأمريكية اليوم ما زالت ذات نفوذ قوى فإنها قد فقدت زعامتها ، ذلك أن ملايين الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى الصحف نظرة شك . فمنذ عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ اللذين كانا عامين من الآلام والكفاح المضنى بالنسبة لكثير من الناس فى الولايات المتحدة — اتسعت الفجوة التى كانت قائمـــة دائماً بشكل أو بآخر بين الصحافة والكثير من القراء وأصبحت هوة سحيقة .

لقد كانت هناك موجة من اليأس والشك صحبت سنوات ما بعد الحرب ، وكان موقف الصحف الأمريكية المعادى لإحياء الحركة العمالية ورواياتها المتحيزة لجانب واحد عن جهود العمال لرفع مستويات معيشتهم ، وكذلك تحيزها ضد التشريعات الاجتماعية ، كان هذا الموقف دافعا للملايين من الناس إلى الشعور بأن معظم الصحف كانت بعيدة جداً عن التعاطف مع الأعداد الكبيرة من الأمريكيين الذين تضوا حياتهم على حافة الأزمة الاقتصادية » .

ولعل نتائج الانتخابات الأربعة لرياسة الجمهورية التى خاضها الرئيس الراحل فرانكلين روزفلت فى الفترة من ١٩٣٢ إلى عام ١٩٤٤ أن توضح لنا المعنى الذى قصده سفيرسكى فى كتابه . فلقد كان نجاح روزفلت فى تلك الانتخابات خير دليل على مدى أزمة الثقة بين الصحافة والشعب فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تجلت فى رد الفعل العنيف للشعب الأمريكى ضد اتجاهات حوالى ٨٠٪ من الصحف الأمريكية التى ناصبت روزفلت العداء وحاولت أن تقلل من أهمية تشريعاته العمالية والاجتماعية التى كان لها فضل إنقاذ الشعب الأمريكى من الآثار القاتمة للأزمة الاقتصادية العالمية التى اجتاحت العالم فى الثلاثينيات من هذا القرن .

والحقيقة أن الصحافة كمنبر للرأى العام تقع عليها مسئولية فتح صفحاتها لمناقشة المسائل الهامة ذات الصبغة العامة دون تحيز لطرف من الأطراف ودون فرض لوجهة نظر معينة . ولكن للأسف تحول الأوضاع الاحتكارية التى تكبل الصحافة فى البلاد الرأسمالية التى تتشدق بالديمقراطية والحرية الفردية دون قيام الصحافة بهذه المهمة المقدسة . فالناشرون هم فى الغالب الأعم الاحتكاريون أنفسهم أو عملاؤهم ، والمحررون هم أجراؤهم المطيعون وهذا يفسر الخلط المؤسف القائم فى أذهان بعض الدارسين للصحافة بين

الصحافة الصفراء والصحافة الشعبية الحقيقية التى ما زالت تفتقر إليها جموع الشعوب وخاصة فى البلدان الرأسمالية . وتجنبا لهذا الخلط سنعرض فى الصفحات التالية عرضا موجزا لتاريخ الصحافة الصفراء مبينين ظروف نشأتها وتطورها وخصائصها المميزة لها ودورها فى خدمة الدوائر الاحتكارية والاستعمارية .

الصحافة الصفراء

كانت الصحف فى القرنين السابع عشر والثامن عشر صحفا فردية صغيرة ، يحرر الصحيفة صاحبها عادة وربما قام بجمع حروفها وطبعها أيضاً على مطبعته اليدوية . وكان توزيع الصحف متواضعا جداً وقراؤها محدودين وثمنها مرتفعا .

ولقد تغير هذا الوضع تماما فى القرن التاسع عشر نتيجة للاختراعات الجديدة التى سهلت طبع آلاف النسخ فى وقت محدود ونتيجة لانتشار التعليم بين الجماهير واتخاذ الصحيفة وسيلة للاعلان التجارى ، فظهرت الصحيفة التى تباع بصولدين بفرنسا (أربعة مليمات) وبنس واحد فى انجلترا وبسنت فى أمريكا[1] ، وبدأ عهد الصحافة الواسعة الانتشار التى توزع عدداً كبيراً من النسخ ، والتى تفننت فى ابتكار الطرق لجذب القارىء المحدود الثقافة . فالتوزيع والربح كانا العاملين الأساسيين اللذين يدفعان أصحاب الصحف ولو ضحوا فى سبيل ذلك بجميع القيم الأخلاقية والاجتماعية ، حتى لقد أطلق على صحافتهم بحق اسم « الصحافة الصفراء » وإن أطلقوا هم على صحافتهم اسم « الصحافة الشعبية » وهى تسمية صادقة بالنسبة لانتشارها الواسع بين الجماهير وخادعة بالنسبة لمضمونها واتجاهاتها.

وتتميز الصحافة الصفراء ـ بصفة عامة ـ بإهمال المقال والاهتمام بالخبر والرسم والتصوير .

---

(١) خليل صابات — الصحافه رسالة ، فن ، علم ، إستعداد ص ٨١

ومما يذكر أن اسم الصحافة الصفراء قد أخذ عن رسم لشخصية هزلية كانت تظهر دائماً ملونة باللون الأصفر فى صحف جوزيف بلتزر أبى الصحافة الصفراء فى أمريكا وكان ذلك حوالى عام ١٨٩٧ .

ومن صفات الصحافة الصفراء أيضاً الاهتمام بأخبار الجريمة والفضائح والقصص الإنسانى المثير وأخبار الشخصيات اللامعة والأزياء والمضاربات التجارية وعنايتها بالهزليات والعناوين المثيرة وإقدامها فى كثير من الأحيان على الاختلاق والتزوير وافتعال الحملات الصحفية المغرضة تحت ستار الإصلاح أحياناً والوطنية أحياناً أخرى . .

وفى مجال تطور الصحافة الصفراء فى الولايات المتحدة لابد من أن نذكر راندولف هيرست الذى اشتهر باعتماده التام على أسلوب الإثارة العاطفية ، والذى يعزى إلى صحفه السبب فى قيـــام الحرب الأمريكية الأسبانية نتيجة للجو المثير الذى خلقته [١] . وما زالت صحفه حتى اليوم محافظة على قصب السبق فى الإثارة سواء فى انتقائها للأخبار أو فى إخراجها .

أما فى فرنسا فتظهر فى ميدان الصحافة الصفراء شخصية موسى ميلو الذى عرف باسم بوليدورميلو باعتباره منشىء هـذا اللون من الصحافة الرخيصة فى تلك البلاد ، الرخيصة فى ثمنها ومادتها . وقد أسس ميلو صحيفة « ال بتى جورنال » عام ١٨٦٣ وملأها بالأخبار التافهة وخاصة أخبار الجريمة والحوادث الدامية . ومما يؤثر عنه فى مجال تبريره لهذا اللون من الصحافة قوله : « يجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لإظهار تفاهتنا ! » ومع ذلك فقد رحب حكام فرنسا فى ذلك الوقت بهذا الاتجاه الصحفى الجديد

---

(١) ابراهم عبده ، الصحافة الأمريكية .

لما له من فضل تحويل أنظار الجمهور بعيداً عن أمور السياسة والاقتصاد وإغراقه فى جو القصص والجرائم .

أما فى ميدان الصحافة الرخيصة فى انجلترا فيبرز اسم اللورد نورثكليف الذى أصـــدر أول صحيفة يومية مصورة فى أوربا وهى صحيفة الديلى ميرور .

والواقع أن الصحف الصفراء تتسم جميعها بالقحة والبذاءة وعدم توخى الدقة والإثارة العاطفية الرخيصة والسعى وراء الكسب بكافة الطرق المشروعة وغير المشروعة .

وقد استمر هـذا السباق وراء زيادة التوزيع وزيادة الأرباح بشكل أكبر بعد الحرب العالمية الأولى حتى لقد أطلق على صحافة الفترة التى أعقبت تلك الحرب والتى بلغت أوجها عام ١٩٢٠ ، أطلق عليها فى الولايات المتحدة الأمريكية اسم « عصر صحافة الجاز » .

وقد زاد الطين بله ظهور الصحف المعروفة باسم التابلويد وهى صحف صغيرة القطع لا يتسع عرض الصفحة فيها لأكثر من خمسة أعمدة بدلا من الأعمدة الثمانية المعتادة . وتحتوى هـذه الصحف عادة على عدد كبير من الصور والرسومات . وقد أمعنت صحف التابلويد فى البذاءة إلى أقصى مداها ، وكانت تهتم بصفة أساسية بالقصص الدرامى العنيف ، والمحاكمات العامة ، خاصة مايتعلق منها بالجريمة كما كانت تلجأ إلى الأساليب الصارخة فى الإخراج والعناوين الضخمة والصور المتعددة وكثيراً ما كانت صوراً مختلقة لا أساس لها من الصحة . .

وخلاصة القول إن الصحف الصفراء قد نزلت بمستوى الرسالة الصحفية إلى الحضيض ، وأهملت معالجة المسائل العامة التى تمس مصالح الجماهير

الأساسية. وانحرفت بالرأى العام إلى متابعة القصص الجنسى وأخبار الجريمة والشائعات ونحو ذلك من ألوان التسلية الرخيصة التى باعدت بين الناس وواقع حياتهم ، حتى فاجأتهم الأزمة الاقتصادية العالمية الطاحنة التى بلغت أوجها فى الفترة من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٤ والتى كانت سبباً مباشراً فى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

ومع ذلك مازالت هذه الصحافة — بعد أكثر من عشرين عاماً من انتهاء تلك الحرب الضروس — تمارس نشاطها وتنفث سمومها دون تغيير يذكر فى أساليبها وأهدافها سوى تحالفها الصريح مع قوى الرجعية والاستعمار العالمى بتبنيها القوى لسياسة دفع العالم إلى حافة الهاوية أو الحرب الباردة ووضع كافة فنونها الصحفية فى خدمة هذه السياسة . وسنحاول فى الصفحات التالية أن نتبين سر هذه العلاقة الوطيدة بين الصحافة الصفراء والاحتكارات العالمية المسئولة عن حالة التوتر الدولى الحالى التى وصلت فى بقاع كثيرة من العالم إلى حالة الحرب الفعلية .

الصحافة والاحتكارات وحرية الرأى :

والحقيقة أن من الأمور الملفتة للانتباه اقتران انتعاش الصحافة الصفراء بظهور السلاسل الصحفية الاحتكارية .

ففى بريطانيا مثلا اعترف تقرير اللجنة الملكية البريطانية للصحافة عام ١٩٤٩ بأن الصحافة البريطانية تكاد تكون مركزة فى أيدى خمس مؤسسات احتكارية تصدر كل مؤسسة منها سلسلة من الصحف[١] ، فمن ذلك سلسلة صحف لورد كمسلى صاحب دار النشر المعروفة باسمه

---

(١) تقرير اللجنة البريطانية للصحافة ص ٣٠ إلى ٣٦

والتى تصدر أكثر من ثلاثين جريدة ومجلة تكاد تحتكر النشاط الصحفى فى عدد كبير من المدن البريطانية . كما ذكر التقرير أن هذه المؤسسات الصحفية الخمس قد أصدرت عام ١٩٤٧ ما نسبته ٤٣٪ من مجموع الجرائد اليومية وجرائد أيام الآحاد بينما كانت هذه المؤسسات نفسها تصدر ١٥٪ فقط من مجموع هذه الجرائد عام ١٩٢١ . ويزيد فى خطورة الأمر ما أكده التقرير من أن سياسة معظم هذه الصحف يديرها ويوجهها صاحب النصيب الأكبر من رأسمالها ، أى فرد واحد ، فيوجه لورد كمسلى سياسة جرائده المتعددة ويشترك فى كتابة المقالات فيها كما يشترك لورد بيفربروك يومياً فى وضع سياسة جريدة الديلى اكسبريس التى يمتلكها كما يدير اللورد روزمير وحده سياسة جرائد مختلفة تطبع حوالى ستة ملايين نسخة يومياً .

خلاصة القول أن هناك خمسة أشخاص فى بريطانيا يوجهون سياسة أكبر صحفها وأكثرها انتشاراً ونفوذاً ، وهؤلاء الخمس من أصحاب الألقاب « اللوردات » لا يمكن بطبيعة الحال أن ينتظر منهم العطف على قضايا الاشتراكية أو الشعوب المستعمرة أو السلام العالمى وهذا يدلنا على مدى خطورة هذا الوضع الاحتكارى على حرية الصحافة البريطانية وعلى حرية الرأى فى بريطانيا . بل لقد دمغ تقرير اللجنة البريطانية نفسها بعض هذه الصحف الواسعة الانتشار مثل الديلى اكسبريس والصنداى اكسبريس والديلى ميل وصحف مجموعة كمسلى بالإهمال الصحفى وعدم العناية الكافية ونشر البيانات المفتقرة إلى الدليل . ومعنى هذا الاتهام أن هذه الصحف إنما تعمل على تضليل الرأى العام البريطانى عن طريق منع بعض الحقائق الهامة من الوصول إليه أو بتشويه هذه الحقائق ونشر الشائعات والأكاذيب .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن الأوضاع الاحتكارية فى الميدان الصحفى أكثر خطورة وأبلغ ضرراً .

ففى عام ١٩٠٩ كان يوجد فى الولايات المتحدة ٢٦٠٠ جريدة يومية أى بمعدل جريدة واحدة لكل ٢٥ ألفا من القراء تقريباً ، وقد انكمش هذا العدد تدريجياً حتى وصل إلى ١٨٠٠ جريدة فقط عام ١٩٤٩ أى بمعدل جريدة واحدة لكل ٧٥ ألفاً من القراء .

وفى الوقت نفسه قضى على المنافسة الصحفية فى معظم المدن الأمريكية ففى عام ١٩٤٩ كان ٩٢ ٪ من سكان المدن الأمريكية يتلقون أخبارهم ويكونون آراءهم فى هدى مصدر واحد فقط للأخبار ، بل لقد أصبحت هناك عشر ولايات بأكملها يحتكر صحفها اليومية وبالتالى يحتكر توجيه الرأى العام فيها مصدر واحد فقط .

أما فى مجال الصحف الأسبوعية فقد انعدمت المنافسة الصحفية عام ١٩٤٧ بالنسبة لـ ٧٧ ٪ من الناشرين .

وقد لوحظ أنه حتى فى المدن التى تصدر فيها صحيفتان يوميتان إحداهما صباحية والأخرى مسائية يكون مالك الصحيفتين مصدرا واحدا فى معظم الحالات بمعنى أن الملكية الاحتكارية أصبحت هى القاعدة بينما أصبحت الملكيه المتنافسة هى الاستثناء . ومما يزيد الطين بلة — بالنسبة لأثر ذلك على الرأى العام — أن مالك الجريدة غالبا ما يكون هو نفسه مالك محطة الإذاعة فى المدينه وربما محطة الإرسال التليفزيونى أيضاً .

والحقيقة أن هذا الاتجاه الاحتكارى الذى دفع بالصحافة إلى أيدى كبار رجال المال هو المسئول عن انتعاش الصحافة الصفراء وازدهارها ،

فضلا عن أنها مصدر كبير للربح نتيجة إقبال الجماهير القليلة الحظ من الثقافة عليها وبالتالى إقبال المعلنين على نشر إعلاناتهم بها ، فإنها أداة طيعة لتوجيه الرأى العام فى البلاد بما يحقق مصالح الرأسمالية الاحتكارية سواء عن طريق إشاعة روح السلبية واللامبالاة بالقضايا الأساسية ، أو عن طريق تشويه الحقائق وخداع الجماهير والانحراف بهم خدمة الأهداف السياسة العدوانية التوسعية .

وهناك أمثلة كثيرة ذكرها كبار السياسيين والكتاب مثل نهرو وعبد الناصر والفيلسوف لاسكى عن مدى خطورة هذا الوضع الذى تصبح فيه الصحافة فى ربقة الاحتكاريين وتجار الأسلحة والعسكريين المتهوسين وأصحاب المصالح الخاصة عامة[1] . ولعل المثال التالى الذى أورده الأستاذ ماكدوجال فى كتابه «فهم الرأى العام» أن يبين لنا عن هذا الارتباط الوثيق بين مصالح الرأسمالية الاحتكارية ومصالح أصحاب المؤسسات الصحفية الاحتكارية .

فى عام ١٩٤٧ مات الكولونيل جوزيف باترسون صاحب جريدة نيويورك ديلى نيوز أوسع الصحف اليوميه الأمريكية انتشاراً . وقد اتضح عند حصر تركته التى قدرت بما يساوى ١٠٫٩٢٣٫٣٦٦ دولاراً ، أنه يمتلك جانباً كبيراً من أسهم وسندات شركة التلغرافات والتليفونات الأمريكية وشركة برون فورمان لتقطير الخمور وشركة كريزلر موتورز وشركة جنرال موتورز وشركة استاندرد أويل وديبون[2] .

---

(١) مختار التهامي : الصحافة والسلام العالمي — الفصل الأول .

(٢) ما كدوجال : فهم الرأى العام ص ٦١٠

ويعلق الأستاذ مكدوجال على ذلك فيذكر أن معظم ناشرى الصحف الأخرى على شاكلة الكولونيل باترسون من حيث ملكيتهم الكبيرة لأسهم الشركات الاحتكارية، وأن هذا يفسر بوضوح إخلاص صحفهم للاتجاهات والأوضاع الرجعية والعدوانية التى يقاسى منها عالمنا اليوم.

إزاء ذلك فإن السؤال الذى لا بد من أن يتردد على الألسنة هو: كيف يمكن أن نتوقع قيام مثل هذه الصحف بمسئوليتها تجاه الرأى العام، وهل ينتظر منها سوى تضليل الرأى العام.

مسئولية الصحافة :

من هذا كله تتضح حتمية الحل الذى سبق أن نادينـــا به فى كتابنا « الصحافة والسلام العالمى » والذى يدعو :

أولا : إلى تخليص العمل الصحفى من ربقة رأس المال الخاص بإبعاد الرأسماليين عن ميدان الصناعة الصحفية وقصر حق إصدار الصحف على الهيئات والمنظمات الشعبية بمساعدة الدولة وتمويلها .

ثانيا : ارتباط جميع العاملين بالصحافة ووسائل الإعلام بعهد شرف مهنى يراعى فى المقام الأول المسئولية الاجتماعية والعالميـــة للصحافة فى مجتمعنا الدولى الحديث[1] . وبهذا وحده نستطيع أن نضمن الحرية الحقيقية للكلمة والتوجيه المخلص للرأى العام .

أما استجداء الناشرين الاحتكاريين الذين تتركز فى أيديهم وسائل الاعلام لإفساح المجال فى صحفهم لنشر الآراء المختلفة ـ كما أوصت اللجنة الأمريكية لحرية الإعلام بعد بحثها لخطورة الأوضاع الاحتكارية على حرية الصحافة الأمريكية ـ فهو فى اعتقادنا استجداء رخيص وغير مجد[2] .

---

(١) انظر الملاحق فى آخر الكتاب .

(٢) تقرير لجنة حرية الصحافة — صحافة حرة ومسئولة — ص ٩٣ مطبعة جامعة شيكاغو ١٩٤٧ .

فالإصرار على أن تظل الصحافة حرة بالمفهوم الغربى ـ أى أن تظل صناعة الصحافة فى أيدى رأس المال الخاص ، شأنها شأن السلع المادية الأخرى ـ معناه فى حقيقة الأمر إعفاء الصحافة من مهمتها ومسئوليتها الأساسية بالنسبة للرأى العام ، ومعناه أيضا إنكار رسالة الصحافة الشريفة وتحقيق النصر النهائى للصحافة الصفراء .

ويمكننا أن نلخص ـ فى ضوء ما سبق من كلام ـ مهمة الصحافة ازاء الرأى العام فى النقاط التالية :ـ (١)

أولا : ــ الإيجابية بمعنى إطلاع الرأى العام على الأمور الهامة التى تمس حياة الجماهير وفتح المجال لمناقشتها مناقشة واعية شاملة لاستجلاء كافة أوجه النظر وتوضيح جميع جوانبها بعيداً عن سيطرة عوامل الاثارة الرخيصة .

ثانيا : عدم الاكتفاء بنشر أخبار الأحداث الهامة ، ولكن لا بد أيضاً من تفسير معنى هذه الأحداث عن طريق الافتتاحيات والأعمدة والكاريكاتير . الخ . وهذا يستدعى ارتباط الصحفيين بعهد شرف مهنى يقوم على أساس قيم اجتماعية وإنسانية واضحة مستمدة من حقائق المجتمع الذى نعيش فيه ومن مصالح الجماهير ، ويتم فى ضوئها كافة التفسيرات للأحداث دون انحراف أو تحيز ينجم عن المصالح الخاصة أو سوء الفهم أو الجهل أو انعدام الوعى .

ثالثا : مراعاة التبسيط فى شرح المسائل والأحداث الهامة بحيث يمكن إيصال جوهر الأمور إلى الجماهير الشعبية القليلة الحظ من الثقافة . وهذا يستدعى تدريب طائفة من الكتاب المتخصصين على التبسيط والشرح على المستوى الشعبي دون ابتذال أو تهريج .

---

(١) عالجنا هذا الموضوع بإسهاب فى كتابنا « الصحافة والسلام العالمى » الفصل الرابع عشر .

رابعا : مراعاة العمل على رفع مستوى الجماهير فكرياً وثقافيا وفنياً وتخليص عقولهم من الأوهام والخزعبلات والأفكار والعادات السيئة الشائعة وألوان التعصب المختلفة.

خامسا : متابعة الأحداث وإشاعة الاهتمام بقضايا الشعوب المختلفة ونبذ الدعوة للحرب وفضحها ، ومحاربة الاستعمار والاستغلال فى شتى صورهما ، وتأييد القوى والقيم التقدمية فى المجتمع ، والدعوة إلى التقارب بين الشعوب .

تنظيمات الصحافة فى الجمهورية العربيه المتحدة :

وقد اهتمت حكومة الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة اهتماما بالغاً بتحرير الصحافة المصرية من سيطرة رأس المال حماية للرأى العام المصرى من انحرافات الرأسماليين المسيطرين على الصحافة . وتمشياً مع مقتضيات المجتمع الاشتراكى . ففى ٢٤مايو ١٩٦٠ صدر قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠ الخاص بتنظيم الصحافة . وبمقتضى هذا القانون آلت ملكية صحف دار الأهرام وأخبار اليوم وروز اليوسف والهلال إلى الاتحاد القومى (ثم إلى الاتحاد الاشتراكى العربى فيما بعد) باعتبار الصحافة جزءا لا يتجزأ من التنظيم الشعبى فى المجتمع الاشتراكى الجديد .

وقد فسرت المذكرة الإيضاحية مبررات هذا الاجراء فقالت :

« وإذا كان منع سيطرة رأس المال على الحكم من الأهداف الرئيسية الستة للثورة ، باعتباره أحد الطرق القوية إلى إقامة ديمقراطية حقة ، فإن هذا يستتبعه بالتالى ألا تكون لرأس المال سيطرة على وسائل التوجيه ، لأن قوة هذه الوسائل وفعاليتها مما لا ينكره أحد ، ووجود أى سيطرة لا تستهدف مصالح الشعب على هذه القوة تستطيع أن تجنح بها إلى انحرافات

قد يكون لها أثرها الخطير على سلامة بناء المجتمع . كما أن مجرد وجود مثل هذه السيطرة يشكل تناقضاً كبيراً مع أهداف المجتمع ووسائل بنائه .

وليس هناك من يجادل فى أن ملكية الشعب لأداة التوجيه الأساسية ـ وهى الصحافة ـ هى العاصم الوحيد من هذه الانحرافات ، كما أنها الضمان الثابت لحرية الصحافة الحقيقية بمضمونها الأصيل ، وهى حق الشعب فى أن يتابع مجريات الحوادث والأفكار ، وحقه فى إبداء رأيه فيها وتوجيهها بما يتفق وإرادته »[1] .

وقد أكد الميثاق هذا المعنى مرة أخرى فقال : ــ

« إن النقد والنقد الذاتى من أهم الضمانات للحرية . ولقد كان أخطر ما يعرقل حرية النقد والنقد الذاتى فى المنظمات السياسية هو تسلل العناصر الرجعية إليها .

كذلك فلقد كانت سيطرة الرجعية على الصحافة بحكم سيطرتها على المصالح الاقتصادية تسلب حرية الرأى أعظم أدواتها .

إن استبعاد الرجعية يسقط دكتاتورية الطبقة الواحدة ويفتح الطريق أمام ديموقراطية جميع قوى الشعب الوطنية .

إنه يعطى أوثق الضمانات لحرية الاجتماع وحرية المناقشة .

وكذلك فإن ملكية الشعب للصحافة التى تحققت بفضل قانون تنظيم الصحافة الذى أكد لها فى نفس الوقت استقلالها عن الأجهزة الإدارية للحكم ـ قد انتزع للشعب أعظم أدوات حرية الرأى ومكن أقوى الضمانات لقدرتها على النقد .

---

(١) أنظر القانون ومذكرته الإيضاحيه فى الملاحق فى آخر الكتاب .

إن الصحافة بملكية الاتحاد الاشتراكى العربى لها ـ هذا الاتحاد الممثل لقوى الشعب العاملة ـ قد خلصت من تحكم رأس المال فيها ومن الرقابة غير المنظورة التى كان يفرضها عليها بقوة تحكمه فى مواردها .

إن الضمان المحقق لحرية الصحافة هو أن تكون الصحافة للشعب لتكون حريتها بدورها امتداداً لحرية الشعب[1] .

الصحافة المصرية والتحول الاشتراكى :

والأمر الذى لاشك فيه أن استكمال الاتحاد الاشتراكى العربى لكافة تنظيماته سوف يتبعه دفعة جديدة وتطور أعظم فى ميدان الصحافة المصرية وبالأخص فى ميدان مساهمة صحافتنا فى البناء الاشتراكى لأمتنا عن طريق خلق المواطن الثورى الواعى بمكاسبه الثورية وبواجباته الثورية . وهذه فى اعتقادنا إحدى المهام الأساسية لصحافتنا فى مرحلة التحول الاشتراكى الحالى ، فالإنسان العربى الثورى ممثلا فى الفلاح الثورى والعامل الثورى والجندى الثورى والطالب والموظف والمثقف الثورى ، هذا الإنسان هو أساس كل تقدم تشهده بلادنا فى حاضرها ومستقبلها .

وتحقيقاً لهذا الهدف ينبغى أن تتحول ملكية الاتحاد الاشتراكى العربى للمؤسسات الصحفية إلى ملكية شاملة وإيجابية تتيح لتنظيمات هذا الاتحاد أن تصدر الصحف الناطقه باسم الفلاحين والجنود والعمال والمثقفين والشباب فى طول البلاد وعرضها ، ولا يظل إصدار الصحف احتكاراً لطائفة من المثقفين القابعين فى مكاتبهم بالقاهرة والذين يتباعدون تدريجياً عن واقع حياة الجماهير الشعبية العريضة واتجاهاتها الفكرية ، بل عن واقع الأحداث

(١) راجع الفقرات الخاصة بالصحافة فى الميثاق الوطنى فى ملاحق هذا الكتاب .

نفسها كما اتضح من غفلة صحافتنا إزاء تجمعات المتآمرين من الاخوان المسلمين ومن تجاهل الصحافة اليومية بصفة خاصة لحركات الإقطاع حتى كشفت عنها حادثة كمشيش بعد أربعة عشر عاما من تطبيق قانون الإصلاح الزراعى ، هى عمر الثورة نفسها . . .

أما المهمة الرئيسية الأخرى لصحافتنا فى مرحلة التحول الاشتراكى فهى بلا شك تدعيم الرقابة الشعبية على أجهزة الإدارة والإنتاج .

وفى اعتقادنا أن تحقيق هـــذا الهدف يتطلب أمرين هامين أولها : ضرورة تحرير الصحف من الاعتماد فى تمويلها على الإعلان، أو تنظيم أساليب وطرق الإعلان بحيث لا تستخدمه المؤسسات فى الضغط على الصحف للتستر على الأخطاء والانحرافات. وثانيهما: ضرورة إخضاع جميع صحف الهيئات والمؤسسات والوزارات والمعاهد لتوجيهات الاتحاد الاشتراكى، وذلك بأن تصدر هذه الصحف عن تنظيمات الاتحاد الاشتراكى فى تلك الجهات مع تحصين المحررين بها ضـد تعسف المديرين والرؤساء .

وبتحقيق هذين الأمرين تصبح الصحافة أداة فعالة قادرة على القيام بالمهام الأساسية التى يجب أن تقوم بها فى مجتمع يبنى الاشتراكية ، وهـذه المهام يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

أولا : نشر القيم والأفـكار والثقافة الاشتراكية وتنمية الشـعور بالمسئولية الفردية والجماعية وبالهدف المشترك والمصلحة الواحدة .

ثانيا : إبراز الإنجازات الثورية ومتابعتها وتوضيح آثارها وتأكيد الدور الذى يجب أن يقوم به العاملون لتدعيم المـكاسب الثورية والحفاظ عليها وتنميتها .

ثالثا : الممارسة الواعية للنقد والنقد الذاتى وتأكيد الرقابة الجماهيرية على أجهزة الإدارة والإنتاج وكشف الانحرافات وسوء استغلال السلطة .

كلمة أخيرة لا بد منها قبل أن نختم هذا الحديث عن الصحافة والتحول الاشتراكى فى بلادنا : وهى ضرورة المبادرة إلى تدعيم الميدان الصحفى والإعلامى بالعناصر الاشتراكية الواعية المخلصة ، وإبعاد العناصر ذات التاريخ الرجعى العتيد المشكوك فى ولائها للنظام الاشتراكى والتى ما زالت تنفث سمومها يومياً على صفحات جرائدنا متسترة بذكاء ودهاء وراء إتقانها المزعوم للفن الصحفى ، إذ ينبغى أن يكون واضحاً فى الأذهان أن ضروب الفن الصحفى ما لم توجه لخدمة المجتمع الجديد وكشف الرجعية والاستعمار فانها لن تعدو أن تكون أسلحة من صنعنا نوجهها نحن إلى صدورنا بتسليمها لطائفة منافقة تربت وترعرعت فى أجواء صحفية عميلة .

أن استمرار وجود هذه الطائفة من عملاء الاستعمار والرجعية فى الميدان الاعلامى ينفى الهدف الذى رمى إليه قانون تنظيم الصحافة حين آلت ملكية المؤسسات الصحفية الكبرى إلى الشعب ممثلا فى الاتحاد الاشتراكى العربى.

ولا شك أن تربية جيل جديد من الصحفيين الشرفاء المخلصين لقضايا البلاد يقتضى - بجانب إبعاد النماذج السيئة الموجودة حالياً فى الميدان الاعلامى - تدعيم قسم الصحافة بجامعة القاهرة وتحويله إلى كلية شاملة لجميع فروع الاعلام .

وإذا كان إعداد صحفيي المستقبل مسئولية وطنية بالغة الخطورة للصلة الوثيقة بين إعداد الصحفى وتوجيه الرأى العام ، فان الأمر يقتضى - فى اعتقادنا - عدم السماح للجهات والجامعات الأجنبية بالتدخل فى إعداد هؤلاء الصحفيين أو تدريبهم ، وخاصة فى مرحلة الدراسة الجامعية الأولى.

الفصل الثاني

وكالات الأنباء



وكالات الأنباء

صحب ظهور الصحافة الرخيصة تحول هام فى المادة الصحفية نفسها حتى يتلاءم هذا اللون الجديد من الصحافة مع الجماهير الجديدة من القراء ويشبع غريزتها إلى الاستطلاع والمعرفة ، فبعد أن كانت الصحف تهتم أساساً بالمقال والجدل السياسى والأدبى والفلسفى أصبحت تركز اهتمامها على الأخبار والاعلام السطحى.

وسرعان ما اتضح استحالة قيام كل صحيفة على حدة بتكاليف جمع ونقل الأخبار التى يتطلبها القارئ مع الاحتفاظ بعنصرى السرعة والحالية وأصبح من الضرورى أن تتقاسم الصحف جميعا تكاليف جمع ونقل الأنباء بالسرعة المطلوبة . وهكذا أدى مولد الصحافة الإخبارية إلى ازدياد أهمية وكالات الأنباء الناشئة والإسراع فى تطويرها حتى أصبحت المصدر الأساسى للأخبار العالمية بل والمحلية أيضاً . فإمكانيات الوكالة المحلية تفوق بطبيعة الحال إمكانيات أية دار صحفية مهما تعدد مراسلوها ومصادر أخبارها الداخلية .

نشأة وكالات الأنباء وتطورها :

ويرجع تاريخ وكالات الأنباء إلى عام ١٨٢٥ حين جاب شاب فرنسى من أصل مجرى يدعى « هافاس » عواصم أوربا لكى يتعاقد مع مراسلين يمدون مكتب الأنباء الذى أنشأه فى باريس بأخبار تلك العواصم . وكانت الأخبار ترد إلى المكتب المذكور - فى أول الأمر - إما بالبريد أو بواسطة أناس مخصوصين ، حيث تترجم وتعاد صياغتها ثم توزع على المشتركين من

رجال السلك الدبلوماسى وكبار رجال المال والتجارة . ومن طريف ما يذكر أن الصحف فى ذلك الوقت قابلت عرض هافاس بمدها بالأنباء بالرفض التام لأن المقال كان ما يزال صاحب السيادة فى الجريدة .

ولكن الوضع سرعان ما تغير مع ظهور بوادر الصحافة الشعبية عام ١٨٣٦ حين أنشأ « إميل دى جيراردن » صحيفة « لا برس » وأعقبه بقليل « ديتاك » بصحيفته « لاسييكل » وظهر بوضوح اتجاه القراء إلى الاستزادة من الأخبار . وكان هافاس قد توقع هذا التحول واستعد له بشراء مؤسسة صغيرة مشابهة لمؤسسته حققت له مزيداً من المساهمين ومن مصادر الأنباء ، وبإدماج المؤسستين معاً أنشأ عام ١٩٣٥ وكالة هافاس . ومنذ ذلك الوقت زاد هافاس فى عدد مراسليه وحسن أساليب حصوله على الأنباء باستخدام السيمافور ، وهو نوع بدائى من التلغراف كان شائعاً فى فرنسا فى ذلك العصر . وفى عام ١٨٤٠ أقدم هافاس على استخدام الحمام الزاجل لنقل الأنباء من عاصمة إلى أخرى ضماناً لسرعة وصولها . والحقيقة أن عامل السرعة كان من أهم العوامل التى دفعت الصحف أخيراً إلى الاشتراك فى وكالة هافاس . وفى عام ١٨٤٨ أخذ هافاس فى إقامة روابط منتظمة بين باريس ولندن وبروكسل ، مدها بعد عامين لتشمل باريس وروما وفينا ومدريد ومدن ألمانيا الرئيسية[١] .

هذه باختصار نبذة قصيرة عن تاريخ نشأة أول وكالة أنباء عرفها العالم وكانت حافزاً لإنشاء وكالات أخرى مماثلة مثل وكالة ولف الألمانية عام ١٨٤٩ ووكالة رويتر الانجليزية عام ١٨٥١ .

ولا شك أن اختراع التلغراف الكهربائى فى حوالى منتصف القرن

---

(١) اليونسكو : وكالات الانباء . باريس ١٩٥٣ .

التاسع عشر ومد الكابلات الكهربائية تحت البحر عام ١٨٥٨ بين أمريكا الشمالية وأوربا ، وبين انجلترا والهند واليابان قد ساعدت مساعدة فعالة على تطور وكالات الأنباء وعلى تقدم الصحافة ، حتى ليؤكد البعض أن هذا الاختراع يأتي في الأهمية بعد اختراع المطبعة مباشرة بالنسبة لتطور الصحافة [1] .

وكالات الأنباء العالمية الحالية ومناطق نفوذها :

يبلغ عدد الوكالات العالمية الحالية التي يمكن اعتبارها وكالات عالمية بالمعنى الصحيح ست وكالات هي : وكالة اجنس فرانس برس الفرنسية (هافاس سابقا) ووكالة رويتر الانجليزية ، ووكالة تاس السوفيتية ، وثلاث وكالات أمريكية هي : الأسوشيتدبرس والأنترناشيونال نيوزسرفس واليونايتدبرس . وتتمتع هذه الوكالات الست بمناطق نفوذ واسعة النطاق إذ تتضح الحقائق التالية من الاحصائيات التي أوردها كتاب اليونسكو عن وكالات الأنباء ، وهو الكتاب المعنون : « وكالات الأنباء : تكوينها وعملها » :

١ — أن ٧٤٥،٣٩٦،٠٠٠ من السكان يتلقون أخبار العالم عن وكالة تاس السوفيتية وحدها بصفة أساسية ، ويشمل هذا الرقم سكان الاتحاد السوفيتي وعددهم ١٩٣ مليون نسمة .

٢ — أن ٩٦١،٨٨١،٠٠٠ نسمة يتلقون أخبار العالم عن وكالات الأنباء الغربية الخمس بصفة أساسية .

٣ — أن ٢٠٣ مليون نسمة فقط يتلقون أخبار العالم عن وكالات الأنباء الست مجتمعة ، أي عن الوكالات الغربية ووكالة تاس معاً .

---

(١) خليل صابات : الصحافة رسالة استعداد فن علم .

٤ — أن حوالى ٣٢ مليون نسمة لايتلقون أى أخبار عن أية وكالة عالمية أى أنهم يعيشون فى شبه عزلة عن العالم بحكم بعض الأوضاع الاستعمارية والاجتماعية .

وكالات الانباء والرأى العام العالمى :

والحقيقة أن هذا الوضع الذى تحتكر فيه الدول الكبرى الأربع - بواسطة وكالاتها - جمع الأنباء وتوزيعها على العالم مثار قلق كبير للعاملين فى ميدان الاعلام فى البلدان الصغرى التى لا تمتلك وكالات أنباء عالمية . إذ معنى هذا الاحتكار هو أن تتلقى مجموعات كبيرة من سكان العالم أخبار هذا العالم من وجهة النظر الغربية أو الشرقية فقط . ولقد أثبتت التجارب أن هذه الوكالات العالمية لايمكن أن تكون محايدة فى عرضها للأنباء مهما حاولت إخفاء ذلك .

فهذه الوكالات تستطيع أن تتلاعب بالرأى العام العالمى أو بالرأى العام الإقليمى أو المحلى عن طريق صياغتها للأنباء وإبرازها لطائفة معينة منها وإهمالها عمداً لطائفة أخرى . وكذلك عن طريق توجيه أخبار معينة لمنطقة معينة ومنعها عن منطقة أخرى ، بل إن الأمر يصل أحياناً إلى حد اختلاق الأخبار وتزوير الحقائق .

وقد عرضنا فى كتابنا « الصحافة والسلام العالمى » لطائفة من الأخطاء المتعمدة التى وقعت فيها وكالات الأنباء الغربية فى الفترة التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية فعددنا منها ما يأتى :

١ — إطلاقها لفظ الإرهابيين على الوطنيين المناضلين ضد الاستعمار فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

٢ — نقلها أنباء يقصد منها المبالغة فى تصوير بدائية الشعوب المستعمرة

والشعوب تحت الوصاية ، بغرض الإيحاء إلى شعوب العالم المتمدين بأن هذه الشعوب لا تصلح لحكم نفسها بنفسها . وذلك لتثبيت أقدام الاستعمار .

٣ — لعبت هذه الوكالات ـ ولا تزال تلعب ـ دوراً أساسياً فى الحرب الباردة وفى بث روح الكراهية والبغض بين الشعوب فى الوقت الذى تجاهلت فيه لمدة طويلة نقل أخبار استخدام الذرة فى سبيل السلام ورفاهية الجنس البشرى ، وعمدت بدلا من ذلك إلى نشر دعاية واسعة لاستخدام القنبلة الذرية والهيدروجينية .

٤ — تجاهلت هذه الوكالات نقل الأخبار التى تساعد على الحل السلمى للمشكلات العالمية والتى من شأنها أن تلفت نظر الضمير العالمى إلى قضايا الشعوب المستعمرة أو المتخلفة أو المضطهدة مثل أخبار الهنود الحمر فى أمريكا والسكان الأصليين فى استراليا ونيوزيلندة وفلسطين المحتلة الخ . .

٥ — تضن معظم هذه الوكالات بنقل أخبار كافية عن نواحى نشاط الأمم المتحدة والوكات التابعة لها فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية .

والواقع أننا يمكن أن نضيف إلى هذه النقاط كذلك مساهمة هذه الوكالات الفعلية فى تمهيد الرأى العام العالمى للانقلابات الرجعية التى تتم بتأييد من الاستعمار القديم أو الجديد ، والتى تتخذ ميدانا لها الدول الآسيوية والإفريقية ، ودول أمريكا اللاتينية الحديثة التحرر أو التى تسعى إلى تدعيم استقلالها سياسيا واقتصادياً وعسكرياً بعيداً عن سياسة الأحلاف والانحياز .

وإذا كنا قد أيدنا فى كتابنا سالف الذكر الدعوة إلى إنشاء وكالة أنباء عالمية تابعة للأمم المتحدة ضماناً لحيدة جمع الأنباء وتوزيعها ، وضماناً

لمراعاة أهداف الأمم المتحدة فى صيانة السلام والأمن الدوليين ، وإذا كان تحقيق هذا المطلب يبدو متعذراً فى الظروف الحالية التى تمر بها الأمم المتحدة ـ فإن الأمل معقود الآن على مجموعة دول عدم الانحياز لتحقيق إنشاء مثل هذه الوكالة العالمية المنشودة . ولعلها أن تبادر إلى ذلك خدمة لقضية عدم الانحياز ذاتها وللسلام والاستقرار العالمى .

وكالة انباء الشرق الاوسط والتحول الاشتراكى :

وحتى يتم تحقيق هذا الأمل ـ أمل إنشاء وكالة أنباء عالمية محايدة تابعة للامم المتحدة أو لمجموعة دول عدم الانحياز ـ فإننا نلقى على كاهل وكالتنا الناشئة، وهى الوكالة المعروفة باسم وكالة أنباء الشرق الأوسط[1] ، المسئولية الأساسية فى تزويد صحفنا وإذاعاتنا بالأنباء العالمية الصحيحة أو على الأقل عدم السماح بتسرب الأنباء المغرضة والمشكوك فيها ، تلك التى تذيعها وكالات الأنباء العالمية الحالية على وسائل الاعلام المحلية فى بلادنا.

ولذلك فاننا نطالب بضرورة تعديل قانون إنشاء هذه الوكالة بحيث يعطيها وحدها حق احتكار تلقى الأنباء الخارجية الواردة عن وكالات الأنباء الأجنبيه جميعاً، على أن يتم توزيع هذه الأنباء بواسطتها هى على دور الإعلام المحلية المختلفة بعد استبعاد الأنباء الظاهر زيفها أوغير الموثوق فيها أو المصاغة بطريقة مثيرة تستهدف تحقيق رد فعل معين فى الرأى العام لا يخدم سوى مصالح الاستعمار والرجعية . كما يمكن أيضاً تأجيل نشر بعض الأنباء إلى أن تتضح صحتها أو نشرها مع تعليق مناسب .

---

(١) صدر قانون إنشاء شركة وكالة أنباء الشرق الأوسط فى يناير ١٩٥٦ برأسمال قدره ٢٠ ألف جنيه وكانت تساهم فيها دور الأهرام وأخبار اليوم والتحرير والهلال . وفى يناير ١٩٥٩ قامت دار التحرير بشراء أنصبة بقية الشركاء . وقد انتقلت تبعية الشركة بعد ذلك إلى المؤسسة المصرية العامة للتوزيع والترجمة والانباء والنشر ثم إلى وزارة الارشاد القومي.

وفى اعتقادنا أن مثل هذه الخطوة ضرورية جداً لحماية الرأى العام المحلى بعد أن أثبتت الأحداث عدم حيدة وكالات الأنباء العالمية ، وخدمتها للأهداف الاستعمارية والرجعية .

وإذا انتقلنا إلى ميدان جمع الأخبار الداخلية وجدنا أن الوكالة مازالت فى حاجة لأن تدعم مكانها فى المحافظات بتعميم إنشاء المكاتب الدائمة فى كل محافظة وتزويدها فضلا عن الموظفين الأكفاء بأجهزة الاتصال المباشر (التيكر) وآلات التسجيل والتصوير العادى والسينمائى حتى تستطيع هذه المكاتب متابعة الأحداث فى أماكن وقوعها وتقديم خدماتها اليومية المتصلة لدور الصحف والاذاعة والتلفزيون والسينما .

فمن الغريب حقاً أن تعنى الوكالة عناية تامة بتغطية محافظة القاهرة بشبكة محكمة من المندوبين الذين يكررون أعمال مندوبى الصحف الكبرى المركزة بالمدينة فى الوقت الذى تهمل فيه المحافظات الأخرى إهمالا يكاد يكون تاما باستثناء المناسبات الرسمية الهامة فقط . وينطبق هذا القول حتى بالنسبة لمحافظة أسوان التى تشهد أعظم عمل بناء فى مرحلة التحول الاشتراكى الحالية مما أدى إلى مجاهرة السيد وزير السد العالى بالشكوى من إهمال أجهزة الاعلام المتابعة المناسبة لتطور العمل والحياة فى هذا الجزء من الوطن الذى يشهد واحد من أضخم مشروعات مرحلة التحول . . .

وإذا كانت إمكانيات الصحف لا تسمح لها دائما بتغطية أخبار الناس والأحداث فى المحافظات الأخرى وأعماق الريف تغطيه كافية فالمفروض أن هذا العمل من صميم أعمال وكالات الأنباء ويجب أن تقوم به وكالة أنباء الشرق الأوسط . بل إن قيام الوكالة بهذه التغطية بصورة جدية من شأنه إنعاش الصحافة الأقليمية ونشرها وتطويرها .

إن التحول الأشتراكى لا يتم فى القاهرة والمدن الكبرى وحدها بل إن ميدانه الواسع والخطير هو جماهير الفلاحين فى القرى والعمال فى المصانع ، وليس من شك فى أن تغلغل أجهزتنا الصحفية فى القرى والمصانع من شأنه تعجيل خطوات هذا التحول بفضل مايحققه من إتاحة لفرص التعبير عن الرأى ومن ممارسة لعمليه النقد والنقد الذاتى ومن دعم للرقابه الشعبيه الحقيقيه على أجهزة الإدارة والانتاج وعلى فلول الرجعيه المعاديه لنظامنا الاشتراكى القائم . .

على أن تنفيذ مثل هذه الخطوات التى نطالب بها يتطلب دعم الوكالة المذكورة بعناصر يقظة مخلصة واعية متشبعة بالفكر الاشتراكى فاهمة لتطورات الموقف الدولى مؤمنة بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز حتى تستطيع هذه العناصر أن تقوم بعملها هذا الخطير الذى نتطلبه منها متحملة مسئوليته كاملة دون تردد يفقد الأنباء حاليتها ودون رجوع إلى مستويات أعلا مسترشدة فى عملها بخطوط سياستنا الداخلية والخارجية كما رسمها الميثاق .

الفصل الثالث

الاذاعة

الاذاعـــة

تعتبر الإذاعة والتليفزيون من أهم وسائل الإعلام الجماعى التى عرفها الإنسان بعد اختراع المطبعة وظهور الصحف .

وتتميز الكلمة المذاعة وتتضح خطورتها بأنها أسرع وسيلة إعلامية تصل إلى الإنسان فى أى مكان على ظهر البسيطة فى يسر ودون عوائق : تصل إليه فى بيته وعمله ، فى الجبل والجو والبحر والصحراء .

ولقد فطنت الحكومات إلى خطورة هذه الوسيلة الإعلامية الجماعية فأخضعتها لسيطرتها أو لرقابتها منذ الوهلة الأولى ، وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الوحيدة فى العالم فى الوقت الحاضر التى يوجد بها نظام إذاعى يديره ويموله الأفراد .

على أن هذا لا يشكل أية خطورة على أمن تلك البـــلاد لأن أصحاب محطات الإذاعة هم أنفسهم الرأسماليون الذين يسيطرون على وسائل الاعلام الأخرى وعلى الحكومة نفسها ، كما أن الحكومة تستطيع أن تسحب الترخيص فى أى وقت من أية محطة مشكوك فى ولائها للنظام القائم .

وقد عرف العالم الاذاعة على النطاق التجارى بعد الحرب العالمية الأولى وافتتحت أول محطة إذاعية فى العالم فى الولايات المتحدة الأمريكية فى ٢ نوفمبر عام ١٩٢٠ ، افتتحتها شركة وستنجهاوس الكهربائية بإعلان نتائج الانتخابات الأمريكية التى فاز فيها الرئيس هاردنج . وأخذت تلك المحطة بعد ذلك ترسل إذاعتها لمدة ساعة واحدة مساء كل يوم كى تجذب الهواة لشراء أجزاء تركيب أجهزة الاستقبال . وسرعان ما اتسعت مدة

الإرسال عقب ذلك ، وانتشرت محطات الاذاعة لا فى أمريكا وحدها بل فى العالم أجمع .

الاذاعة والرأى العام المحلى

تلاحق برامج الاذاعة الانسان منذ استيقاظه فى الصباح حتى أوبته إلى فراشه فى المساء ، فالانسان إذن — مهما بلغت ثقافته — لا بد من أن يحصل على جزء من معلوماته فى بعض ميادين المعرفة المجهولة لديه عن طريق الاذاعة .

ومع ذلك فالاذاعة بالغة الأثر بالنسبة لأنصاف المتعلمين والأميين والأطفال والشباب والنساء — وخاصة ربات البيوت — ذلك لأنها — على عكس القراءة فى الصحف — لا تتطلب جهداً خاصا من المستمع ولا تحول بينه وبين أداء عمله وخاصة إذا كان عملا يدويا .

وتساهم الاذاعة بانتشارها الواسع على تكوين قدر من وحدة التفكير والذوق والشعور فى الأمة . ومن هنا تتضح أهمية اختيار البرامج التى تقدم للجمهور وأهمية القيم التى تروجها هذه البرامج سواء أكانت قيما اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو جمالية ، وأهمية الغذاء الثقافى والفكرى والنفسى الذى تقدمه يوميا لجماهير الشعب الواسعة .

وتتضح أهمية الاذاعة بصفة خاصة فى أوقات الحروب والأزمات إذ تستطيع أن تلاحق الجمهور بآخر الأنباء لحظة وصولها ، دون انتظار لجمع الكلمات ودوران آلات الطباعة وعمل أجهزة التوزيع . كما أنها تقوم فى هذه الأحوال بدور أساسى فى دحض افتراءات العدو وشائعاته وتعبئة الشعور القومى ، ليس فقط عن طريق نشر الأنباء الصحيحة وتحليلها ولكن أيضاً عن طريق الأغانى الوطنية والموسيقى الحماسية والتمثيليات الموجهة . الخ . .

ومازلنا نذكر الدور الرائع الذى لعبته الاذاعة المصرية عام ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى فى تعبئة الشعور القومى والرد على همسات الإذاعات العدوانية وشائعاتها التى أرادت بها أن تحطم الروح المعنوية للشعب وأن تموه على الرأى العام العالمى .

وكان ضرب العدو لمحطات الإرسال الإذاعى فى أبى زعبل شهادة منه لمدى كفاءة إذاعتنا فى أداء مهمتها الإعلامية والقومية فى تلك الفترة العصيبة كما كان حرص الحكومة المصرية على إعادة الإرسال الاذاعى بعد ساعات قليلة من ضرب محطات الارسال الرئيسية دليلا على يقظتها للدور الخطير الذى تلعبه هذه الوسيلة الجماهيرية الواسعة الانتشار ، وهو الدور الذى تتضاعف خطورته أثناء الحرب .

والواقع أن للاذاعة فضلا كبيرا فى بث روح الاهتمام بالمسائل العامة بين عامة الناس ، وفى سرعة تجميع جماهير الشعب حول رأى بعينه، أولفت انتباههم إلى مشكلة من المشكلات أو طارئ من الطوارئ . ولا شك أن الاذاعة أداة قوية فى أيدى أولئك الذين يريدون أن يغيروا من تفكير الشعب ومن قيمه السياسية والاقتصادية والخلقيةومعتقداته الشائعة ، أو على الأقل أن يحملوه على إعادة التفكير فيها ومناقشة مدى صلاحيتها وصدقها، وذلك إذا أحسنوا استغلال هذه الأداة وأحسنوا توجيهها بحيث تصبح موضع ثقة الشعب وإقباله .

ولقد كان الرئيس فرانكلين روزفلت من أوائل السياسيين الذين أدركوا أهمية الاذاعة فى توجيه الجماهير وتفوقها فى بعض الحالات على الصحافة ذاتها ، ولقد استطاع من خلال حديثه بالراديو فى خضم اشتداد الأزمة الاقتصادية وغداة إغلاق البنوك عام ١٩٣٣ أن يشيع بين الناس نوعا

من الثقة والطمأنينة لم يكن فى إمكان أى بلاغ رسمى منشور فى الصحف أن يحققه ، بل لقد استطاع الرئيس روزفلت عن طريق أحاديث المدفأة التى كان يذيعها أسبوعياً على الشعب الأمريكى أن يكسب معاركه الانتخابية المتعددة للرياسة ، رغم المعارضة الشديدة التى كانت تبديها الصحف المملوكة للاحتكارات الرجعية له ، وتنبؤاتها المتتالية — التى شاركتها فيها دور استطلاع الرأى العام — بهزيمته . ولقد أحصيت عدد الكلمات التى أذاعها بالراديو خلال السنة الأولى من رياسته فبلغت ٣٨,٠٠٠ كلمة أو ما يقرب من مائتى صفحة من كتاب كبير القطع .

ويمكن أن نلخص أثر الاذاعة بالنسبة للرأى العام المحلى فى النقاط التالية :

١ — تحقيق قدر من وحدة التفكير والشعور والهدف والقيم فى الأمة لازم لسلامة الدولة وتماسك الأمة .

٢ — حفز الناس على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ومشاغلهم على الاهتمام بالمسائل العامة ومناقشتها ومتابعتها وهذا من شأنه تدعيم الروح الديمقراطية الصحيحة .

٣ — التخفيف من حدة العصبيات الاقليمية والاقلال من شأنها .

٤ — متابعة تثقيف الجماهير وإشباع احتياجاتهم الفكرية والنفسية والارتفاع بمستوياتهم الثقافية والفنية .

٥ — دحض الشائعات الضارة فى الحال وخاصة فى أوقات الحروب والطوارئ ومنع حدوث البلبلة الفكرية .

على أن الإذاعة سلاح ذو حدين ، شأنها فى ذلك شأن جميع وسائل الإعلام الآخرى . فهى أداة خطرة فى أيدى الفاشيين والاحتكاريين الذين

يستخدمونها لمحاصرة الأفكار التحررية ، ولبث أفكارهم التعصبية وإشاعة الانحلال ، والانحراف بالجماهير وراء مثل مضللة تمجد القوة وتحبذ الاستعمار وتنادى بأسطورة الجنس المتفوق المزعومة . كما أن الاذاعة تصبح أداة خطيرة أيضاً إذا سيطر عليها أنصاف المتعلمين وأصحاب المصالح الخاصة والمخربين والمغرضين والانتهازيين .

الاذاعة والرأى العام العالمى :

تستخدم الاذاعة على نطاق واسع للتأثير فى الرأى العـــام العالمى والخارجى عن طريق الدعاية وخاصـــة فى أوقات الحروب والأزمات الدولية .

والدعاية نوعان . نوع أبيض يستهدف إعلام الشعوب الأخرى بنواحى التقدم فى البلد المذيع فى شتى ميادين الحياة الاجتماعية والثقافية والفنية ، ومحاولة إيجاد نوع من التقارب والتفاهم القائم على أساس المعرفة مع هذه الشعوب ، ونوع أسود يستهدف إشاعة البلبلة وحرب الأعصاب والتشكيك والتحريض على العصيان .

وقد بدأت حرب الدعاية على النطاق العالمى عن طريق الاذاعة بعد منتصف عام ١٩٣٠ بواسطة ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية ثم الاتحاد السوفيتى وبريطانيا ، كما دخلت الولايات المتحدة هذا الميدان فى أعقاب إعلان الحرب العالمية الثانية .

ويصف جوردن أولبورت وليوبوستمان فى كتابهما « سيكولوجية الاشاعة[1] » الحرب النفسية التى شنتها النازية عن طريق الاذاعة الدولية

---

(١) جوردن أولبورت وليوبوستمان : سيكولوجية الإشاعة ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل .

بأنها كانت تتسم على الأخص باستراتيجية « فرق تسد » وباستراتيجية « الرعب » وذلك عن طريق نشر الشائعات بصفة خاصة . وقد أوضح أدموند تيلور فى كتابه استراتيجية الرعب[١] الصادر عام ١٩٤٠ كيف أن الألمان فى تهيئتهم للحرب الخاطفة قد أغرقوا ضحاياهم بأقاصيص الرعب والانهزامية . فعن طريق الراديو تلاحقت الاشاعات واحدة بعد الأخرى متجهة إلى بولندة وفرنسا والبـــلاد الوطيئة ، فى الوقت الذى كانت الأقاصيص فيـه تلوح بالغزو المسلط وبمفاوضات السلم الوشيكة . وكان هدفهم الأول البلبلة وتثبيط الروح المعنوية ، فألقوا الشك حول إخلاص حكومات الحلفاء وحول مقدرة هذه الحكومات على إسعاف البلاد فى المحنة وفى نفس الوقت أذاعوا أخبارا زائفة تصـــور الانتصارات البولندية أو الفرنسية الهائلة ، مما تمخض عنه رفع الآمال عند الحلفاء لتهوى بعد ذلك إلى اليأس والرعب . وكانت الدعاية الاذاعية النازية فى بداية الأمر على درجة عالية من التنظيم فكانت تتباين صورها تبعاً للبلد الموجهة إليه ، بل وفى كل بلد تبعا للجماعة التى تسعى إلى اجتنابها ، ولقد تفاخر هتلر فى وقت من الأوقات بأن دمار أمريكا يمكن تحقيقه من الداخل » .

بل إن مؤلفى كتاب سيكولوجية الاشاعة يذهبان فى كتابهما إلى حد التأكيد بأن الاشاعات التى كانت رائجة فى أمريكا فى وقت الحرب ومنها التلميحات التى كانت تشكك فى سلامة عقل الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت « إنما كانت تبدو فى الغالب وكأنها مرآة للوجهة السائدة فى دعاية المحور[٢] » . وهذا يوضح إلى أى مدى تبلغ خطورة الاذاعات الموجهة أثناء الحرب .

وما زلنا فى مصر نذكر حرب الشائعات التى شنتها علينا الدول المعتدية

---

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٥٢.

عام ١٩٥٦ والتى ذهبت إلى حد تصوير سقوط الاسماعيلية فى أيدى قوات العدوان وإلى تحديد أماكن وهمية وساعات بعينها لاغارة الطائرات المعادية. ولقد كان من الممكن أن تؤدى مثل هذه الاشاعات إلى أضرار جسيمة وإلى إشاعة الفوضى والذعر لولا سلامة إدراك الشعب المصرى وثقته فى حكومته ، والتفافه حولها ، ويقينه بصدق ما تذيعه عليه محطات الإذاعة المصرية ووسائل الإعلام المحلية الأخرى .

الاذاعة والحرب الباردة :

والواقع أن حرب الإذاعات أو الإشاعات المذاعة لم تنته على النطاق الدولى بانتهاء الحرب العالمية الثانية . بل لقد ازدادت اشتعالا وتطوراً بعد انتهاء تلك الحرب حين انقسم حلفاء الأمس على أنفسهم ، إذ تعتمد الحرب الباردة التى تدور بين المعسكر الغربى والشرقى اعتماداً كبيراً على حرب الإذاعات التى يوجهها كل من المعسكرين إلى جميع أنحاء العالم بجميع لغات العالم تقريباً .

ولقد أصبحت الإذاعة الموجهة إلى الدول الأخرى جزءاً له خطره فى نطاق السياسة الخارجية للدول الحديثة عامة والكبرى منها بصفة خاصة.

ولكى ندرك مدى اهتمام هذه الدول بالدعاية الإذاعية يكفى أن نعلم أن البلدان الشيوعية تذيع أسبوعياً برامج موجهة تستغرق أكثر من أربعة آلاف ساعة بثلاث وستين لغة مختلفة منها الاسبرانتو .

ويقوم الاتحاد السوفيتى وحده بإذاعة برامج موجهة تستغرق ألفاً وثلاثمائة ساعة أسبوعياً ، وتليه الصين الشعبية ببرامج تستغرق سبعمائة ساعة ، ثم ألمانيا الشرقية وتأتى كوبا فى المركز الرابع .

ولا توجد لدينا إحصائية بعدد الساعات التى تذيعها البلدان الغربية مجتمعة ، على أننا لا نعتقد بأية حال أنها تقل عن عدد الساعات التى تذيعها بلدان الكتلة الشرقية ، إن لم تزد عليها .

ومع ذلك فمن المعروف أن شبكة الإذاعة العالمية المعروفة باسم « إذاعة صوت أمريكا » والتى تعبر بصراحة عن الصوت الرسمى لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية تبعث برامجها إلى جميع أنحاء العالم بست وثلاثين لغة وهى توجه ٤٠ ٪ فى المائة من هذه البرامج إلى البلدان الشيوعية . ويقدر متوسط الميزانيـــة السنوية لإذاعة صوت أمريكا باثنين وعشرين مليون دولار .

الاذاعات السرية :

على أن أخطر الإذاعات الموجهة — دون شك — الإذاعات السرية وهى إذاعات لا تعلن عن مصدرها ولا تبوح باسم الدولة أو الجهة التى تمولها ، ولذلك فإنها تتيح لنفسها قدراً لا حد له من حرية الدس والافتراءات والتشويه والتحريض كثيراً ما يتسم بالانعدام التام للشعور بالمسئولية .

ويكشف كتاب الحكومة الخفية لديفيد وايز وتوماس روس عن مدى اعتماد أجهزة المخابرات الأمريكية على هذا النوع الخطير من محطات الاذاعة السرية .

ومن أمثلة ذلك سلسلة محطات الاذاعة السرية التى تطوق بها الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتى والدول الشرقية . ولكل محطة من هذه المحطات منطقة نفوذ محددة وأهداف بعينها تسعى إلى تحقيقها .

فمن هذه المحطات واحدة كانت تعرف باسم راديو التحرير ، ثم غيرت اسمها إلى راديو الحرية ، وهى توجه برامجها التى لا تنقطع لحظة واحدة ليلا أو نهاراً إلى الاتحاد السوفيتى فقط مستخدمة لهذا الغرض سبعة عشر جهاز إرسال تعمل من ألمانيا الغربية والبرتغال وفورموزا .

وهناك محطة سرية أمريكية أخرى تعرف باسم « راديو أوربا الحرة » تقول عن نفسها : إنها « محطة إذاعة خاصة غير حكومية أو تجارية » وهذه توجه برامجها إلى بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا — أما محطة راديو رايس Rais — وهى محطة سرية تعمل بالقطاع الأمريكى ببرلين الغربية — فإنها تختص ببرامجها الموجهة ليلا ونهاراً برلين الشرقية وألمانيا الشرقية .

ومما يذكر أن « راديو أوربا الحرة » لم يكتف بدعاياته الإذاعية بل استخدم أيضاً البالونات المملوءة بنشرات الدعاية والتى كان يطلقها على أراضى أوربا الشرقية . ففى عام ١٩٥٣ أنشأت الإذاعة المذكورة هيئة خاصة لهذا الغرض باسم « صحافة أوربا الحرة » .

ولقد أدى الدور التحريضى الذى قام به «رادبو أوربا الحرة» فى فتنة المجر التى قامت بها العناصر الرجعية هناك عام ١٩٥٦ إلى اشتداد حملات النقد عليه . والشبهات قوية فى أن الراديو المذكور كان عاملا أساسياً فى التحريض على هذه الفتنة وفى بذل الأمانى والوعود الخادعة للقائمين عليها عن مساعدات وامدادات خارجية مزعومة .

ومن محطات الإذاعة السرية التى تمولها الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً محطة رول Wrul ونشاطها موجه للتحريض على الثورة والعصيان ضد نظم الحكم التى لا ترضى عنها الولايات المتحدة فى منطقة أمريكا اللاتينية ، وفى تأييد النظم التى تتمتع برضائها . والمحطة المذكورة مسئولة عن كثير من الانقلابات التى حدثت فى تلك البلدان بعد الحرب العالمية الثانية .

وهناك أيضاً محطة سرية أخرى أنشئت عام ١٩٦٠ وكانت تسمى باسم « راديو سوان » وهى تسمية مشتقة من اسم الجزيرة التى تذيع

منها المحطة ، وهى جزيرة مهجورة فى جنوب غرب كوبا . وكانت مهمة هذه المحطة مقصورة أصلا على التمهيد نفسيا لغزو كوبا عن طريق إذاعة البرامج التى تستهدف زعزعة حكم كاسترو . وقد شاركت هذه المحطة مشاركة فعلية فى عملية الغزو الفاشلة التى تعرضت لها كوبا عام ١٩٦١ وذلك بإذاعة رسائل سرية وتوجيهات عسكرية بجانب النداءات التى كانت تحرض الشعب الكوبى والقوات المسلحة الكوبية على الثورة ، والتعليمات التى كانت تبين كيفية القيام بأعمال التخريب .

وقد غيرت هذه المحطة اسمها عام ١٩٦٣ إلى راديو الأمريكتين واستمرت مع ذلك فى تحريض العناصر الكوبية الخائنة والمضادة للثورة الاشتراكية على القيام بأعمال تخريبية : كاشعال الحرائق فى مزارع القصب المؤممة والتى كانت تملكها أصلا الاحتكارات الأمريكية ، وانتزاع الأسلاك التليفونية . كذلك ناشد ذلك الراديو الشعب الكوبى أن يحطم أكبر عدد ممكن من الزجاجات لأن جزءاً من خطة إدارة المخابرات المركزية الأمريكية كانت ترمى إلى إحداث أزمة زجاجات فى كوبا ! !

ولم تسلم منطقة الشرق الأوسط من هذا النوع من الاذاعات السرية السوداء التى سنتناولها بالحديث عند كلامنا عن الإذاعة المصرية وحرب الإذاعات .

الاذاعات الاستعمارية والبلدان المتخلفة

ولا تقتصر خطورة الإذاعة فى الميدان الدولى على وقت الحروب والأزمات ؛ بل إن هناك أيضاً ميدانا آخر تشتد فيه خطورة الإذاعات الموجهة ، هو ميدان البلاد الفقيرة والمتخلفة التى لا تمتلك إذاعات خاصة بها أو تمتلك إذاعات فقيرة فى إمكانياتها وبرامجها . فشعوب تلك البلاد تعتمد عادة على الإذاعات التى تصلها من الخارج .

وتتضح خطورة هذا الوضع فيما يلى :

أولا : أن أقوى الإذاعات التى تصل إليها هى إذاعات الدول الاستعمارية التى لها مصالح مباشرة فى توجيه الرأى العام فى تلك المناطق حسب هواها .

ثانيا : أن الإذاعة فى كثير من هذه المناطق ـ ومعظمها مناطق منعزلة عن الحضارة والثقافة وتسود فيها الأميـــة والجهل ـ هى وسيلة الاعلام الوحيدة ، ولذلك نجد إغداقا من البلاد الاستعمارية على تصدير أجهزة الراديو الترانزستور بأرخص الأسعار .

ثالثا : لا يوجد اهتمام من جانب الأمم المتحدة أو الوكالات الدولية التابعة لها بإنشاء إذاعات خاصة لهذه المناطق .

ولعل هذا يوضح لنا أهمية الدور الذى تقوم به الإذاعة المصرية بإذاعاتها القوية الموجهة لتلك المناطق والتى تستهدف تنوير شـــعوبها وتبصيرها بالحقائق .

الاذاعة المصرية وحرب الاذاعات

لم تسلم الجمهورية العربية المتحدة من حرب الاشاعات والدعاية السوداء التى تروجها إذاعات الاستعماريين وحلفائهم وفى مقـــدمتهم إسرائيل والحكومات العربية الرجعية .

وترمى الإذاعات الاستعمارية والرجعية إلى تحقيق هدفين أساسيين فهى تحاول على النطاق الداخلى بث روح التشكيك والقلق والفرقة والبلبلة بالنسبة للتحول الاشتراكى ومشروعات الثورة — وخاصة مشروعات التصنيع الثقيل والخفيف والسد العالى — ومثلها العليا وحقيقة علاقتها

بالاتحـــاد السوفيتى ، ومدى تمسكها بالدين ، وجدوى السياسة التى تتبعها فى المجال الدولى والعربى وخاصة موقفها من وجود إسرائيل ومن الأحلاف العدوانية ومن الرجعية العربية .

أما الهدف الثانى الذى ترمى إليه الاذاعات المعادية لبلادنا فهو العمل على تشويه سمعة البلاد على النطاق العالمى والعربى ، والنيل من منجزاتها وانتصاراتها ، والتقليل من هيبتها ووضعها الدولى المرموق الذى حققته لها سياستها التحررية الاستقلالية التى تستهدف تحقيق السلام العالمى والرفاهية لجميع الشعوب .

ولقد فطن المسئولون عن الاذاعة المصرية إلى مدى ضرر هذه الإذاعات الأجنبية المغرضة ، وإلى ضرورة محاربتها لا عن طريق مجاراتها فى بث الاشاعات وتلفيق الأخبار ، ولـكن عن طريق توفير قدر كاف من الإعلام الصحيح بالنسبة للجمهور الداخلى وبالنسبة للرأى العام العربى والعالمى يمده بنوع من الثقافة السياسية والاجتماعية يكون بمثابة درع واق من ترهات الأعداء وتقولاتهم .

ولم تـكتف الاذاعة المصرية بذلك ، بل ربطت نفسها كذلك بقضايا تحرير الشعوب وخاصة الشعوب العربية والأفريقية ، فجعلت من نفسها منبراً لإيصال صوت الشعوب المناضلة إلى العالم ، وإيصال صوت العالم الحر إلى هذه الشعوب لرفع معنوياتها ومؤازرتها فى نضالها الباسل ، ولدحض افتراءات الإذاعات الاستعمارية وتوجيهاتها الضارة بمصالح تلك الشعوب .

فحتى عام ١٩٥٦ كانت محطة إذاعة الشرق الأدنى التى تذيع باللغة العربية من قبرص أقوى صوت للدعاية فى الشرق الأوسط ، وكانت تلك المحطة تملـكها — صورياً — هيئة خاصة وتديرها — فعلياً — المخابرات البريطانية .

وفى مستهل عام ١٩٥٦ استطاع راديو القاهرة عن طريق إذاعة صوت العرب أن يقضى نهائياً على محطة الشرق الأدنى البريطانية .

ويبدأ صوت العرب برنامجه اليومى حاليا فى الخامسة صباحاً وينتهى حوالى الساعة الثانية والنصف من صباح اليوم التالى. وهو يوجه إذاعاته إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط وجميع البلدان العربية . ويخصص إذاعات خاصة لفلسطين والجنوب العربى والمغرب العربى والسودان .

والإذاعات الصادرة من القاهرة كلها إذاعات صريحة، توجه نداءاتها باسم الجمهورية العربية المتحدة . ذلك أن سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى مكافحة الاستعمار فى أى مكان وفى معاضدة قوى التحرر والاشتراكية واضحة ليس فيها أى التواء أو غموض يدعو إلى الاستعانة بالإذاعات السرية السوداء [1] .

وبطبيعة الحال لا ترضى إذاعات القاهرة الدول الاستعمارية التى تقلقها دائما أية محاولة لتنوير الشعوب وتوعيتها ضد الأطماع المتخفية والتسلل ولذلك تعمد هذه الدول بين الحين والحين إلى سلاح الإذاعات السرية لترد بها على إذاعات القاهرة ولتجذب المستمعين بعيداً عنها . ومن هذا القبيل تلك الإذاعات السرية التى صاحبت محاولة دول العدوان الثلاثى الفاشل فى عام ١٩٥٦ ، وكذلك الاذاعات السرية التى مولتها إدارة المخابرات المركزية (الأمريكية) عام ١٩٥٨ بحجة أنها لا تستطيع أن تدع هذا النوع

---

(١) تعتبر اذاعة الجمهورية العربية المتحدة ثانى اذاعات العالم من حيث عدد اللغات التى تذيع بها والتى تبلغ ٣٣ لغة بما فى ذلك اللغة العربية وتسع لغات افريقية ، كما تحتل المرتبة الخامسة بين اذاعات العالم من حيث عدد ساعات الارسال . وتبلغ عدد ساعات ارسال البرامج الموجهة وحدها حوالي ٥٠ ساعة يومياً موجهة الى افريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية وجنوب وشرق آسيا والشرق الأوسط وأمريكا الشمالية .

من الكلام الذى يذيعه راديو القاهرة بدون رد ، ومن ثم أنشأت عام ١٩٥٨ سلسلة من محطات الراديو السرية فى الشرق الأوسط وعلى طول تخومه لمناهضة نفوذ راديو القاهرة . وقد بلغ عدد هذه المحطات التى تهاجم الجمهورية العربية المتحدة سبع محطات : محطتان منها كانتا تذيعان من الريفييرا الفرنسية بينما كانت المحطات الباقيـــة تذيع من عدن والأردن ولبنان وقبرص وكينيا .

الاذاعة المصرية والتحول الاشتراكى :

وإذا كانت جماهير شعبنا معرضة دائماً لهذا النوع من الإذاعات السرية فضلا عن الإذاعات العلنية المضللة ، فإن هذا يلقى مسئولية كبرى على أجهزة الاعلام فى بلادنا .

ولا شك أن الاذاعة المصرية وخاصة البرنامج العام وصوت العرب تقوم بواجبها بصورة مرضية ، وهى لابد سائرة إلى صورة أفضل وأكثر كمالا لتعميق القيم الاشتراكية بين جماهير شعبنا . وذلك بفضل حماس الشباب القائم على العمل بها ، وإيمانه بمثلنا التحررية الاشتراكية ، وبفضل خبرتهم الطويلة فى ميدان الاعلام الاذاعى .

ومع ذلك فثمة ملاحظة تتعلق بوضع إذاعة الشرق الأوسط التى افتتحت عام ١٩٦٤ على أساس خدمة المعلنين الأجانب والمحليين والتى توجه إرسالها للبلدان العربية جمعاء :

فهذه الاذاعة فى اعتقادنا تنافس إذاعة صوت العرب والبرنامج العـام سواء داخل الجمهورية أو خارجها دون مبرر قوى .

وليس هناك شك فى أن حصيلة المحطة من العملة الصـــعبة مقابل إذاعتهـا للاعلانات الأجنبية لا تتعادل بأية حال مع الضرر الكبير

الناتج من انصراف المستمعين عن برنامج ثبت نجاحه ، وطالما أقلق مضجع الاستعمار والرجعية مثل برنامج صوت العرب . ولا بد أيضاً من الانتباه إلى رد الفعل السيء الذى يحدث بالنسبة لجمهورنا المحلى نتيجة للاعلان عن سلع أجنبية ومحلية لا تتوفر فى السوق المحلية ولا يسمح تخطيطنا الاقتصادى الاشتراكى بتوفيرها حالياً ، إما لوجود سلع محليـــة بديلة أو لاعتبارها فى عداد البضائع الكمالية .

وفى اعتقادنا أن من الضرورى جداً إعادة النظر فى مبررات وجود هذه المحطة ، حتى لا تصرف براجها الترفيهية الخالصة جمهور المستمعين داخل الجمهورية وفى البلدان العربية عن متابعة المواد الجادة ومواد التوعية التى تحتل مكانا هاما فى برامج إذاعة صوت العرب والبرنامج العام .

نحو ميثاق أذاعى دولى

فطنت الدول إلى خطر الاذاعات الأجنبية على أمنها وسلامتها منذ اتسعت دائرة الحرب الاذاعية فى الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية .

وقد شغلت تلك الحرب الاذاعية عصبة الأمم فى ذلك الوقت ، وانتهى الأمر بأن أقرت العصبة عام ١٩٣٦ اتفاقيـــة دولية لاستخدام الاذاعة فى سبيل السلام [1] . وكان هدف الاتفاقية المذكورة منع استخدام الاذاعة كأداة لتعكير صفو العلاقات الدولية . وبمقتضاها تعهـــدت الثانية والعشرون دولة الموقعة عليها أن تمنع إذاعة أى مادة قد تحمل تحريضاً لأية بلد على الإقدام على أعمال منافية لسلامة وأمن أى دولة أخرى من الدول الموقعة . كما تعهدت الدول الموقعة على الاتفاقية بمنع أية إذاعات ضارة بالتفاهم الدولى عن طريق إذاعة بيانات غير صحيحة ، وبتصحيح مثل هذه

---

(١) لامبرت (ريتشارد . س) : الدعاية ص ٦٩ ، ٧٠ .

البيانات بأسرع ما يمكن إن أذيعت ، وتعهدت الدول بالإضافة إلى ذلك بالتحقق من صحة الأخبار المذاعة المتعلقة بالعلاقات الدولية وخاصة فى وقت الأزمات . ومع ذلك فإن هذه الاتفاقية التى دخلت مرحلة التنفيذ فى أول أبريل ١٩٣٨ لم تحظ بالاعتماد النهائى سوى من جانب سبع دول فقط من الدول الثمانية والعشرين الموقعة عليها بالحروف الأولى . ولم يكن بين هذه الدول السبع سوى دولتين فقط من الدول الكبرى فى ذلك الوقت هما إنجلترا وفرنسا .

ومما لا شك فيه أن الوضع الدولى الحاضر ـ المتسم باشتداد الحرب الإذاعية كجزء هام من الحرب الباردة ـ يتطلب من الأمم المتحدة إعادة النظر فى محاولة عقد إتفاقية جديدة للسلام الإذاعى ، على ألا تحمل هذه الاتفاقية نصوصا قد يستفيد منها عملاء الاستعمار والرجعية ، كما يجب أن يكون من أهم بنود هذه الاتفاقية تحريم محطات الإذاعات السرية تحريما تاما بتعهد كافة الدول بعدم السماح بإقامة مثل هذه المحطات داخل أراضيها .

على أننا نرى أن الخطوة العاجلة التى يجب اتخاذها ينبغى أن يقوم بها العاملون فى محطات الإذاعة أنفسهم ، وذلك عن طريق ارتباطهم بعهد شرف دولى إيجابى نابع من مسئوليتهم تجاه الشعوب والرأى العام العالمى ، على غرار عهد الشرف الذى نادينا به بالنسبة للصحفيين ورجال الإعلام فى كتابنا الصحافة والسلام العالمى .

الاتحاد الاشتراكى ودستور المثقفين :

وإذا كان الوضع الدولى القائم يتطلب التفكير فى ضرورة ارتباط العاملين فى ميدان الاعلام العالمى بميثاق شرف دولى تخفيفا من حدة التوتر العالمى وتهيئة لجو صالح لحل المشكلات الدولية حلا سلمياً ، فإن الوضع

الداخلى فى بلادنا يحتم المبادرة إلى ارتباط جميع العاملين فى ميدان الاعلام بميثاق شرف محلى يستمد بنوده من طبيعة مرحلة التحول الاشتراكى الحالية وأهدافها .

وليس من شك أن «دستور المثقفين» الذى وضعته إحدى لجان أمانة الدعوة والفكر الاشتراكى بالاتحاد الاشتراكى العربى يعتبر أساساً طيباً للميثاق الذى ينبغى أن يلتزم به رجال الاعلام والأدب والفن والمفكرون عامة فى بلادنا . وإن أملنا وطيد فى أن تبادر أمانة الدعوة والفكر بعقد المؤتمر المنشود لمناقشة هذا الدستور وإقراره فى صيغته النهائية والدعوة إلى الالتزام به .

الفصل الرابع

السينما

مقدمة فى تاريخ السينما وتطورها



السينما

مقدمة فى تاريخ السينما وتطورها

فى كل أسبوع يتردد « ٢١٥ » مليون متفرج على ١٠٠٫٠٠٠ دار من دور السينما فى جميع أنحاء العالم .

ويمثل هذا العدد حوالى عشر سكان المعمورة ، ويضاف إليهم الأعداد الأخرى من البشر التى تشاهد الأفلام المعروضة فى المدارس والأندية والمنشآت الخاصة والعامة أو من خلال التليفزيون .

وقد بلغ عدد المترددين على دور السينما عام ١٩٤٩ حسب ماجاء فى أحد تقارير اليونسكو ١١١٧٨ مليونا منهم ٤٩٦٨ مليونا فى أمريكا الشمالية أو ٤٥٪ من مجموع المترددين و ٣٧٠٨ مليونا فى أوربا أو ٣٣٪ و١١٠٣ مليونا فى آسيا أو ١٠٪ و ٦٠٠ مليونا فى الاتحاد السوفيتى أو ٥٪ و ٤٢٦ مليونا فى أمريكا الجنوبية أو ٤٪ و ٢٣٠ مليونا فى إفريقيا أو ٢٪ و ١٤٣ مليونا فى D Ceania أو ١٪

وهذه الإحصائيات تبين لنا مدى أهمية السينما فى حياة العالم المعاصر ومدى خطورتها كجهاز من أجهزة التوجيه والإعلام والثقافة الأساسية .

ومما لا جدال فيه أن السينما فن القرن العشرين ، وأنها تلقى اليوم من إقبال الجماهير وشدة تلهفهم مالا تلقاه أية وسيلة إعلامية أخرى باستثناء التليفزيون ، وأنها تستطيع أن تنقل من الأفكار والقيم الاجتماعية والسياسية مالا يستطيع أى فن آخر أن ينقله .

نشأة السينما

قدم الأخوان لويس وأوجست لوميير أول عرض للصور المتحركة فى العالم فى إحدى مقاهى باريس فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ ومع ذلك فإن أول إنتاج يمكن أن يطلق عليه إنتاج سينمائى روائى كان عام ١٩٠٥ وكان عبارة عن فيلم من بكرة « لفة » واحدة طولها « ١٠٠٠ قدم » وأعقبه عرض أفلام أخرى من نفس الطول أو من طول مضاعف ، حتى إذا كان عام ١٩١٢ أنتجت إيطاليا فيلم كوفاديس من ثمان بكرات .

ومع التقدم الفنى السريع سرعان ما أصبحت السينما صناعة ضخمة وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية . ذلك أن الحرب العالمية الأولى قضت على هذه الصناعة فى أوربا فى الوقت الذى ساعدت فيه على رواجها فى أمريكا .

وما إن حل عام١٩٢٧ حتى كان الصوت قد أخذ مكانه بجانب الصورة، ففى السادس من أكتوبر عام١٩٢٧ عرضت شركة إخوان وارنر الأمريكية أول فيلم ناطق وكان عنوانه مغنى الجاز .

وقد تطورت صناعة السينما تطوراً مطرداً منذ ذلك الوقت : فظهرت الأفلام الملونة والأفلام المجسمة والصوت المجسم والسينما سكوب والسينيراما وغيرها. وهذه المخترعات جميعاً تزيد السينما ثراء وتتيح للفنان فرصا لا حد لها فى تصوير أعقد الانفعالات التى تزخر بها الحياة .

خصائص السينما

والحقيقة أن إمكانيات السينما العظيمة غير المحدودة ، التى لا يشاركها فيها أية وسيلة إعلامية أخرى ، كاعتمادها على التصوير الخارجى ، ومزجها بين مشاهد الطبيعة والمشاهد المأخوذة فى الاستوديو ، واستخدامها المؤثرات

الصوتية والألوان الطبيعية ولغة الحديث اليومى البسيطة البعيدة عن البلاغة الأدبية : كل هذا يجعل السينما أقرب إلى الحياة الواقعية من ناحية الشكل على الأقل ، مما يضاعف من شدة تأثيرها وجاذبيتها للجماهير ، خاصة وأن السينما ـ كأداة تعبير ـ تستطيع أن تستوعب جميع الفنون الأخرى ، وأن تستغل جميع مميزات هذه الفنون مجتمعة .

مهمة السينما

هناك اختلاف كبير فى وجهات النظر بالنسبة لتحديد مهمة السـينما المعاصرة . والحقيقة أن مفهوم السينما ومهمتها يختلفان اختلافاً كبيراً بإختلاف الثقافات والنظم السياسية والاجتماعية .

وسنعرض فى بحثنا هـذا دور السينما الأمريكية والسينما السوفيتية والسينما التسجيلية ، ثم نعرج بالحديث عن السينما المصرية والاتجاهات التى تعتمل فيها وهى تشق طريقها نحو مفهوم يساير المرحلة الثورية التاريخية التى تمر بها البلاد حاليا .

ونود أن تبين هنا أن حديثنا عن السينما يرتبط ارتباطا وثيقا بحديثنا ــ فى فصل قادم ــ عن التليفزيون ، وذلك للعلاقة المباشرة بين الجهازين من حيث اعتمادهما على الصوت والصورة معاً .

وليس من شك أن التليفزيون قد نقل السينما إلى ملايين الأشخاص من كافة الأعمار فى عقر دورهم وفرضها عليهم ـ بجميع مثلها وقيمها ـ سواء ارتضوا هذه المثل والقيم ورضوا عنها أم ساءتهم هذه المثل والقيم وغضبوا عليها . وهذا ما سنناقشه تفصيلا فى الفصول القادمة .



الفصل الخامس

السينما الأمريكية



السينما الأمريكية

لا بد للباحث فى ميدان السينما أن يبدأ بدراسة السينما الأمريكية وأثرها على الرأى العام العالمى ، نظراً لما هو ملحوظ من سيطرة هذه السينما على معظم الأسواق العالمية ، ولضخامة الأعداد التى تشاهد الأفلام الأمريكية يومياً فى جميع أنحاء العالم – وخاصة من الشباب – سواء بالتردد على دور السينما أو بمشاهدة برامج التليفزيون .

كما أن هـذه الدراسة للسينما الأمريكية – وللسينما السوفيتية فى فصل قادم – تمهيد لا بد منه لدراستنا التالية للسينما المصرية واتجاهاتها، سواء قبل الثـورة أو بعدها ، ولمحاولتنا تبين الدور الذى ينبغى أن تلعبه فى مرحلة التحول الاشتراكى الحالية . . .

هدف الانتاج السينمائى الأمريكى :

وخلاصة وجهة النظر الأمريكية أن الهدف الوحيد من الإنتاج السينمائى الأمريكى هو التسلية والربح ، لا الدعاية ولا التعليم ، وإن زعم مروجو هذه النظرية بأن للسينما الأمريكية تأثيرا بالغا على الحياة العقلية الأمريكية والسلوك الفردى فى أمريكا بل وفى خارج أمريكا أيضاً .

فما لا شك أن هناك آثارا كبيرة مباشرة للسينما على توجيه الرأى العام حتى ولو لم يكن الفيـــلم المعروض من الأفلام ذات المضمون السياسى أو الاجتماعى الواضح والموجه مباشرة وصراحة للتأثير فى الرأى العام .

فالأفلام الروائية عامة ذات أثر بالغ فى الرأى العام عن طريق المثل

التى تبرزها والمقاييس التى تضعها للخير والشر وللسلوك البشرى عامة بل وعن طريق عرضها للأزياء وللشخصيات التاريخية، وعن طريق الأفكار التى تبثها بالنسبة للأجناس والأمم والطبقات المختلفة .

ومن أبرز سمات الإنتاج السينمائى الأمريكى اعتماده على نظام النجوم فيحيط نجوم السينما بهالة ضخمة من الأضواء والدعاية، تلاحقهم حتى فى بيوتهم وحياتهم الخاصة ، فينقل اهتمام الجماهير من مضمون الفيلم إلى الخصائص الشخصية للنجوم أو التى يضفيها المنتجون أنفسهم على النجوم ويربطونهم بها فى أذهان الجماهير .

وهذا النظام وإن كان جزيل النفع من الناحية المادية التجارية - إذ يقبل الجمهور على مشاهدة أفلام النجوم الذين يفضلهم دون تفكير - إلا أن له عيوباً كثيرة سواء من ناحية تجميد مواهب الممثلين أنفسهم فى قوالب محدودة لا يسمح لهم بالخروج عن نطاقها ، أو من ناحية تأثير هذه الأفلام على الرأى العام . .

السينما الأمريكية وما يريده الجمهور :

ولما كان الربح هو الهدف الأساسى للمنتج الرأسمالى الأمريكى فمن الطبيعى أن يكون شعار هـذا المنتج هو « إعطاء الجمهور ما يريده » والواقع أننا إذا حللنا هـذا الشعار على ضوء ما تعطيه السينما الأمريكية للجمهور لوجدنا أن المقصود به هو إعطاء الجمهور ساعات من المتعة والتسلية المتسمة بطابع الهروب من الواقع والتى لا تحتاج من النظارة إلا إلى النذر اليسير من الجهد العقلى سواء لمتابعة موضوع الفيلم أو لمتابعة أحداثه .

ويتندر بعض الكتاب على ذلك فيقولون إنه من الممكن أن ينام الإنسان

أثناء مشاهدته لجزء أو أجزاء برمتها من الفيلم الأمريكى دون أن يفقده ذلك لذة تتبعه للفيلم أو يقلل من متعته .

فالفيلم الأمريكى لا يعتمد على الحوار أو الأفكار العميقة أو التفكير المنطقى . ذلك أن اعتماده الأول عادة على إشباع الغرائز البدائية الشائعة وخاصة الغريزة الجنسية التى يتساوى فيها الناس جميعا بغض النظر عن ثقافاتهم وجنسياتهم ومعتقداتهم . أما مشكلات الحياة اليومية ومشكلات الناس الحقيقية فهى أمور تتجنبها السينما الأمريكية فى الغالب الأعم ، فإن اختصاص هوليوود الأول هو خلق عالم حالم، مشحون بالمغامرات والحب والأبهة والنجاح يهيء المشاهد جوا من الاسترخاء يكون بمثابة المخدر الذى يساعده على الهروب من واقع الحياة . . وهذا يفسر لنا تلك النهايات السعيدة المفتعلة فى معظم الأفلام الأمريكية إن لم يكن فيها كلها .

وقد أشار إلى هذه الحقيقة تقرير نشره المعهد الأمريكى لتحليل الدعاية فى مارس ١٩٣٨ بعنوان : السينما والدعاية ، جاء فيه ما يلى :

إن كاتب السينما مثل كاتب الروايات الشعبية يعرف المفاتيح التى يجب أن يلعب عليها لكى يثير العواطف المطلوبة ، وهو يحقق الاستجابة الجماعية باستغلال اهتماماتنا بالجنس والعواطف والقوة والإثارة والرقة والتفاؤل والنهايات السعيدة وتحقيق الأمانى من خلال أحلام اليقظة وإثارة الخيال وألوان التعصب الشائع .

وهو يجمع هذه الاستجابات والاهتمامات فى أنماط شعبية يمكن أن تلعب دوراً هاماً فى الدعاية الواعية وغير الواعية لحلول مضللة للمشكلات فعلى سبيل المثال :

١ — الادعاء بأن النهاية السعيدة لقصة حب تحل جميع مشكلات البطل والبطلة .

٢ — الادعاء بأن القبض على المجرم يحل جميع مشكلات الجريمة .

٣ — الادعاء بأن الحرب والدعاية للحرب أمر مثير وبطولى وعظيم .

٤ — الادعاء بأن الحياة السعيدة هى الحياة المبنية على الاستحواذ ، مع التأكيد على حياة الرفاهية والمساكن الفاخرة والسيارات ، وثياب السهرة والترف والبذخ .

٥ — الادعاء بأن هناك طائفة من الأجناس والجنسيات والأقليات تثير السخرية وتتسم بالغباء ، أو أن لأفرادها من السمات ما يصمهم بالاختلاف الكبير والتخلف عن المواطنين الأمريكيين من البيض .

من هـــذا كله يتبين لنا مدى التأثير السيء والخادع للسينما الأمريكية على النظارة وعلى اتجاهات الرأى العام ، وخاصة اتجاهات الشباب الذى تعلق الصورة المرئية المتحركة بخياله مدة طويلة ، ويكون تأثيرها أشد وأقوى من أية وسيلة إعلامية أخرى .

السينما الأمريكية والشباب :

ولقد ساقت الدراسة التى قامت بها مؤسسة باين Payne Fund studies عام ١٩٣٠ أدلة عديدة على تأثر الشباب بما يعرض عليه فى دور السينما سواء بتقليد ملابس النجوم المفضلة أو أسلوبهم فى التزين والسلوك وفنون الحب ، ومما لا شك فيه أن ما أثبتته تلك الدراسة عام ١٩٣٠ ما زال حقيقة قائمة حتى يومنا هذا ، يؤيد ذلك ما هو ملموس من اتجاه كثير من الشباب

ـ وخاصة الشباب الأوربى والأمريكى ـ إلى تقمص شخصيات أبطال الأفلام وتقليد نجوم السينما[1] .

على أن أخطر ما يتلقنه الشباب اليوم من السينما هو القيم ـ حتى التاريخية منها ـ والمثل والآراء السياسية والاجتماعية التى تعرضها الأفلام وأسلوب السلوك والتعامل مع الناس خاصة فى مسائل الجنس والعصبيات والطبقات والعلاقات بين الأمم والشعوب .

وتتضح خطورة هذه الحقائق حين نعلم أن ما يتراوح بين ٣٥ و ٤٠ فى المائة من جمهور السينما هم عادة من الشباب الذين تقل أعمارهم عن واحد وعشرين سنة ، وأن السينما فى كثير من الأحيان هى وسيلة التسلية الأساسية لمعظم هذه الجموع الشابة وخاصة فى البلدان النامية حيث ترتفع نسبة المترددين من الشبان على دور السينما عنها فى البلاد الأخرى .

فالسينما ـ إذن ـ فضلا عن مسئوليتها الاخلاقية ، تعتبر سلاحا بالغ الأثر فى تشكيل عقول الشباب ورجال المستقبل ،

وبالتالى فهى شديدة التأثير على الرأى العام فى سلوكه واتجاهاته بالنسبة لشتى الميادين السياسية والاقتصادية ، وبالنسبة للاستقرار القومى والسلام العالمى .

السينما الأمريكية والأطفال :

من المعروف أن إنجلترا والاتحاد السوفيتى هما الدولتان الوحيدتان فى العالم اللتان اهتمتا بتمويل إنتاج أفلام خاصة بالأطفال . ذلك أن أفلام

---

(١) لاحظنا فى السنوات الأخيرة موجات التقليد على المستوى العالمي لبول برايثر وجيمس دين والخنافس

الأطفال لا تحقق أرباحا ، كما أنها لا تغطى تكاليفها إلا بعد أعوام طويلة ، ولذلك فقد أحجمت الشركات التجارية عن إنتاج هذا اللون من الأفلام . وتشمل أفلام الأطفال عادة مجلات إخبارية عن نشاط الأطفال فى جميع أنحاء العالم ، وأفلام تسجيلية وطبيعية ، وأفلام للرحلات ومسلسلات وكارتون ، وأفلام تتناول قصص قصيرة ، وأفلام روائية لا تزيد مدتها عن ساعة .

ونتيجة لقلة عدد الأفلام الخاصة بالأطفال وانعدامها فى الغالب الأعم يتعرض الطفل لتأثير الأفلام العادية المنتجة للكبار ، وهو تأثير خطير للغاية بالنسبة لهذه السن المبكرة .

وقد بين تقرير اللجنة الوزارية البريطانية التى شكلت لبحث تأثير السينما على الأطفال خطر مشاهدة الأطفال لأفلام موضوعة لتسلية الكبار . وهذا بعض ما جاء فى التقرير :

« أن عدداً كبيراً من الأفلام يوحى للأطفال ـ بصفة منتظمة ـ بأن القيم العليا فى الحياة هى الثروة والنفوذ والرفاهية ، وأنه لا يهم فى كثير أو قليل كيفية الاستحواذ على هذه الأشياء واستخدامها . وبناء على منطق هذه الأفلام يمكنك أن تأكل كعكتك وتحتفظ بها فى نفس الوقت . فيمكنك أن تصبح سعيداً بدون بذل مجهود كبير أو القيام بعمل شاق طالما كان نجمك مواتيا أو كان لك ظهير ذو نفوذ ، أو كنت على استعداد لاستغلال جاذبيتك أو جمالك بدون وازع كبير من ضمير . ويحاط هذا النوع من فلسفة الدعة والأنانية بأوهام أخرى مدعمة له تشمل تزوير التاريخ والسير وتشويه النظرة إلى شعوب الأمم الأخرى وأبطالهم القوميين . ونحن نميل إلى الاعتقاد أن هناك صدقا كبيراً فى هذه الانتقادات ، كما أننا مقتنعون بأن

التصوير المنتظم للقيم الجوفاء أكثر خطراً وتحريضاً من تصوير الجريمة والإباحية . . .

إن الأفلام المناسبة للأطفال والتى تعمل على تدعيم القيم الروحية قليلة جداً ، وفترات إنتاجها متباعدة ، ونحن نأسف على انعدام الأفلام التى تصور الزواج السعيد والسعادة فى الحياة العائلية »[١] .

ولقد درجت بعض البلدان على معالجة هذا الوضع الذى أشار إليه التقرير ، بتحريم ذهاب الأطفال ممن هم أقل من ستة عشر عاما للسينما على وجه الإطلاق ، أو بتحريم ترددهم على بعض الأفلام فقط كما يحدث فى بلادنا .

والواقع الذى يجب أن نتنبه إليه فى بلادنا هو أن القيم التى تروجها السينما التجارية شديدة الخطر على اتجاهات الرأى العام ، وعلى النظام الاشتراكى بأسره ؛ إذ أنها تزرع فى عقول الناس منذ نعومة أظفارهم مثلا خيالية لا تخدم سوى أهداف الرأسمالية والاحتكارات فى المدى البعيد .

لجان التحقيق والسينما الامريكية :

ولقد تنبه بعض الكتاب والمنتجين الأمريكيين ، وخاصة فى الفترة التالية مباشرة للحرب العالمية الثانية لمسئوليتهم الكبرى نحو جماهير النظارة ونحو مستقبل الإنسانية ، فاتجهوا فى عام ١٩٤٦ وفى أوائل ١٩٤٧ إلى إنتاج طائفة من الأفلام ذات المغزى الاجتماعى . وكان ذلك بلا شك تحت تأثير المثل والمبادئ التى نادى بها ميثاق الأمم المتحدة ، والتى كثر الحديث عنها خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، والتى تنادى بضرورة تحقيق حياة

---

(١) الفيلم والجمهور لروجر مانفيل — بنجوين ١٩٥٥

أفضل لجميــــع المواطنين ، وبإقامة علاقات دولية راسخة فى ظل سلام عالمى دائم .

ولكن مما يدعو للأسف أنه لم تكد تظهر بوادر هذا التحول الطيب فى الإنتاج السينمائى الأمريكى حتى سارعت إحدى لجان الكونجرس ـ المنوط بها التحقيق فى النشاط المعادى لأمريكا برياسة بارنل توماس [1] وجون بارنل ـ إلى إجراء تحقيقات عن نشاط السينما الأمريكية فى هوليوود فى أكتوبر ١٩٤٧ ، استأنفتها فى واشنطن فى ديسمبر من العام نفسه . وقد أدت هذه التحقيقات إلى إثارة الذعر فى ميدان الإنتاج السينمائى الأمريكى ، وإلى القضاء على تلك البادرة الطيبة نحو إنتاج أفلام جادة تعالج مشكلات حيوية وتحاول أن تشغل الرأى العام لجمهور النظارة بقضايا أساسية تنتظر الحل ، بل لا بد من إيجاد حلول لها حتى يسود الاستقرار والسلام والرفاهية .

وكان من نتيجة هــــذه التحقيقات اتهام عشرة من كبار الكتاب الأمريكيين باحتقار الكونجرس لرفضهم الإجابة على الأسئلة التى وجهت إليهم بشأن معتقداتهم السياسية متمسكين فى ذلك بحقوقهم الدستورية . وقد انتهى الأمر إلى الحكم عليهم بالسجن وفصلهم من وظائفهم ، كما غادر بعض الفنانين مثل شارلى شابلن البلاد تحرجا من هذا الاضطهاد .

وهذه قائمة مختصرة بموضوعات بعض الأفلام التى أثارت شكوك لجنة التحقيق سالفة الذكر فى ولاء الكتاب الأمريكيين العشر :

١ — فيلم « أحسن سنوات حياتنا » بطولة فردريك مارش ويدور موضوع الفيلم حول ممول محافظ يؤمن بأن القيم المادية أكثر أهمية من القيم الإنسانية .

---

(١) من الطريف أن هذا الرجل قدحكم عليه بعد ذلك بالسجن مدانا فى قضية سرقة (أنظر كتاب الفيلم فى معركة الأفكار ص ١١)

٢ — فيلم « بوميرانج » Boomerang وتعرض قصة الفيلم للفساد فى حكومة إحدى الولايات الأمريكية حيث يرأس أحد كبار شخصيات الحكومة عصابة من المجرمين .

٣ — فيلم « مارجى » وفيه يطالب أحد المحاضرين فى أحد المعاهد العليا بتحرير نيكارجوا ومغادرة البحارة الأمريكيين لأراضيها .

٤ — فيلم « الحب الشاذ » حيث يظهر أحد رجال الصناعة فى دور المجرم المعتدى .

٥ — فيلم «ميدالية لبنى» وفيه يتعرض جون شتاينيك لإحدى الغرف التجارية المحلية أثناء نظرها اقتراحا بمنح ميدالية لجندى عائد من الميدان .

٦ — فيلم «الرياح الباحثة» وقصة الفيلم من تأليف ليليان هلمان . وقد اتهمها التقرير المتقدم ضدها للجنة التحقيق بأنها تتعرض بالنقد والسخرية لوزارة الخارجية وللسياسيين .

٧ — فيلم « حراسة على الرين» وقصته من تأليف ليليان هيلمان أيضاً وهو فيلم يتعرض بالهجوم على النازية. ولا يعرف أحد سبب اعتباره لونا من النشاط المعادى لأمريكا ، اللهم إلا إذا كانت القيم قد تغيرت فى الولايات المتحدة الأمريكية غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية التى خاضها الشعب الأمريكى ضد النازية والفاشية .

٨ — فيلم « النجم الشمالى » وفيـه تعرض ليليان هيلمان أيضاً صورة للحياة فى قرية روسية صغيرة أثناء الحرب ، والنقد الموجـه للفيلم هو أنه لم يعرض صورة قاتمة للحياة فى روسيا !

٩ — فيلم « بعثة إلى موسكو » وقد اعتبر دعاية روسية لانه لم يتعرض بالهجوم على الشخصيات الروسية البارزة .

١٠ — فيلم « افتخار البحارة » وهو يتصدى لبعض نواحى الاضطهاد العنصرى فى أمريكا يتعرض له جندى أمريكى زنجى حارب ببسالة فى سبيل بلاده .

وخلاصة القول أن اللجنة اعتبرت فى تحقيقاتها كما جاء فى تقاريرها أن إظهار رجل غنى بمظهر الرجل المجرم يعتبر من قبيل الدعاية الشيوعية ، وكذلك نقد رجال الكونجرس تصوير جندى مسرح بعد الحرب بصورة رجل ساخط ، كما اعتبرت اللجنة الدفاع عن السلام والتقدم والديمقراطية جريمة لا تغتفر[1] .

والحقيقة أنه بعد هذه الضربة التى أصابت تطور السينما الأمريكية عام ١٩٤٨ من ناحية المضمون لم يحاول المنتجون السينمائيون المخاطرة مرة أخرى بإنتاج أفلام ذات مغزى اجتماعى ، أو أفلام تتعرض لمشكلات سياسية أو اقتصادية ، بل لقد شاركوا هم أيضاً فى الحرب الشعواء على الكتاب الأحرار . وبهذا تخلت السينما الأمريكية نهائياً عن مسئوليتها تجاه الجماهير وعادت كسابق عهدها أداة رجعية فى أيدى الاحتكاريين والسياسيين من ذوى الميول الفاشية .

السينما الأمريكية والرأى العام العالمى :

ومن خلال عرضنا السابق لاتجاهات السينما الأمريكية والظروف المحيطة بها يمكن أن نلخص الاتهامات الموجهة للسينما الأمريكية فى النقاط التالية :

١ — أنها تباعد بين الجماهير وبين التفكير المنطقى المنظم .

---

(١) أنظر ص ١٢ من كتاب الفيلم فى معركة الأفكار .

٢ — أنها تغرق الجمهور فى عالم هروبى وتبعد الناس عن مناقشة مشكلاتهم الحيوية .

٣ — أنها تشوه الحقائق التاريخية ، بل لقد وصل بها الأمر عام ١٩٣٠ إلى إنتاج سلسلة من الأفلام تمجد الإمبراطورية البريطانية وتناصر الاستعمار .

٤ — أنها تساعد على الترويج للقيم التعصبية وللتفرقة بين الناس والشعوب ، وتمجد أسطورة الرجل الأبيض ورسالته .

٥ — أنها تمجد استخدام القوة والعنف على أسس طبيعية وتمهد للحرب كنهاية طبيعية حتمية ، أى أنها تخدم - بصورة مباشرة - أهداف الدوائر الفاشية العدوانية .

٦ — أنها تعمل على انحلال الأسرة والمجتمع وتساعد على انحراف الشباب وتظهر المرأة بمظهر غير لائق وغير كريم .

٧ — أنها تروج نظرية إحتقار العمل الجماهيرى والجماعى ، وتظهر التكتلات الجماهيرية بمظهر القطيع المسلوب الإرادة المنساق كالحيوانات .

من هذا نتبين مدى خطورة السينما الأمريكية بالنسبة للرأى العام العالمى وخاصة إذا عرفنا أن عدد الأفلام الأمريكية التى يتداولها العالم خارج الولايات المتحدة فى أى وقت من العام لا يقل عن ٤٠٠ إلى ٦٠٠ فيلما وأن عدد النسخ المتداولة من كل فيلم منها يبلغ ٢٠٠ نسخة فى المتوسط ، أى أن هناك ما بين ٨٠,٠٠٠ و ١٢٠,٠٠٠ دار عرض سينمائى تعرض أفلاما أمريكية فى جميع أنحاء العالم أكثر من مرة فى اليوم الواحد .

ويتضح من الإحصائيات أن ٦٣٪ من الأفلام التى عرضت فى أوربا عام ١٩٥١ كانت أفلاما أمريكية بينما بلغت هذه النسبة ٦٤٪ فى أمريكا الجنوبية و٧٦٪ فى المكسيك وأمريكا الوسطى و ٤٨٪ فى الشرق الأقصى و ٥٧٪ فى الشرق الأوسط و ٦٣٪ فى أفريقيا و ٧٥٪ فى كندا .

وهذا يوضح بما لا يدع مجالا للشك مدى تأثير السينما الأمريكية على الرأى العام لجماهير النظارة فى جميع أنحاء العالم باستثناء الدول الاشتراكية .

ويزيد من خطورة هذا الوضع تلك الأساليب التى لجأت إليها صناعة السينما الأمريكية للسيطرة على الإنتاج السينمائى المحلى فى البلدان الأخرى وتوجيهه عن طريق المشاركة فى رأس المال ، وذلك كما حدث فى صناعة السينما الإيطالية . وكان من نتيجته القضاء على تيار الاتجاه الواقعى الذى ساد السينما الايطالية فترة من الزمن بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو التيار الذى استطاع أن يجذب إليه جماهير غفيرة من النظارة فى جميع أنحاء العالم ، وأن يجعل من السينما الإيطالية تهديداً خطيراً للسينما الأمريكية وللمثل والمبادىء والاتجاهات التى تروجها فضلا ، عن تهديده لمكاسبها وسيطرتها العالمية .

الفصل السادس

الافلام التسجيلية والجرائد السينمائية



الأفلام التسجيلية والجرائد السينمائية

استكمالا لبحثنا عن أثر السينما الأمريكية فى توجيه الرأى العام لا بد من أن نعرض للأفلام التسجيلية ، أى للأنواع الغير روائية من الأفلام السينمائيـة ، والأكثر اتصالا بالواقع . ويهمنا بصفة خاصة الجرائد الاخبارية السينمائية لصلتها الوثيقة بالصحافة وتأثيرها المباشر فى الرأى العام .

نشأة الجرائد السينمائية :

أصبحت الجرائد السينمائية فى عصرنا هـذا ـ عصر السينما والتليفزيون جزءاً من حياتنا اليومية . وتعتبر الجرائد السينمائية ـ شأنها فى ذلك شأن الصحف المصورة والاذاعة المرئية (التليفزيون) ـ مرحلة تقدمية من مراحل تقـديم الأخبار للجمهور بعد مرحلة الاعتماد على الكلمة المطبوعة أو المسموعة فقط .

وترتبط نشأة السينما ارتباطاً وثيقاً بالجرائد السينمائية ، بل لقد بدأت السينما أساساً بتقديم بعض الأحداث العامة ، فقد كان الهدف الأساسى للمنتجين الأول ـ ومعظمهم من الفرنسيين ـ هو أن يقدموا للجمهور أفلاماً مأخوذة من الحياة اليومية ، من الشارع ، من محطة السكة الحديد ، من المصـــنع . . . الخ بل يمكن اعتبار أول فيـلم شهده العالم موضوعاً إخبارياً كما يظهر من عنوانه : «العمال يغـــادرون مصنع لوميير فى ليون مونتبليزير» .

ولم يشذ من المنتجين الأول عن هذا الاتجاه الاخبارى إلا ميلييه Méliés

الذى اعتبر السينما منذ البداية وسيلة للتسلية وساهم بقسط كبير فى تطويرها لخدمة هذا الهدف .

ومن الجدير بالذكر أن الريبورتاج السينمائى فى أوربا قد ظهر تقريباً فى نفس وقت ظهور الريبورتاج الصحفى ، فقد أنتج شارل بانيه جريدته السينمائية الاخبارية الأولى عام ١٩٠٧ باسم « الجورنال » وتبعه عام ١٩٠٨ ليون جرمو وشركة إكلير ، وفى عام ١٩٠٩ ذهب الأخوة باتيه إلى لندن وأصدرا أول صحيفة سينمائيـــة إخبارية فى إنجلترا بعنوان « باتيه جازيت » . أما فى ميدان الصحافة اليوميـة فى أوربا ، فقد ظهرت أول صورة فى جريدة « دويتس فارت » الألمانية عام ١٩٠٧ أما فى فرنسا فكانت جريدة « اكسلسيور » التى صدرت عام ١٩١٠ أول جريدة يومية مصورة تظهر هناك[١] .

وبطبيعة الحال زادت أهمية الجرائد السينمائية الاخبارية خلال سنوات الحرب العالمية الأولى . على أن هـذه الأهمية لم تبرز على وجهها الصحيح إلا بعد اختراع السينما الناطقة .

خصائص الجرائد السينمائية الاخبارية :

للجرائد السينمائية الإخبارية خصائص معينة تميزها عن غـيرها من الافلام القصيرة . وهذه الخصائص هى :

١ — أنها تظهر بانتظام فى فترات متقاربة : شهرياً أو كل أسبوعين أو كل أسبوع وأحياناً مرتين فى الاسبوع حسب البلد التى تظهر فيه .

٢ — أن كل عدد منها يشمل موضوعات مختلفة لا صلة بينها .

---

(١) Newsreel Across the World P. 211

٣ — أن الموضوعات المعروضة تتصل عادة بالاحداث الجارية ذات الأهمية الخاصة فى فترة العرض .

٤ — أن طول الجريدة محدد ولا يختلف عادة من عدد إلى آخر .

٥ — من المفروض أن تقدم مواد الجريدة مباشرة دون محاولة واضحة لفرض تفسيرات معينة أو إملاء تعليمات خاصة .

وتتميز الجريدة السينمائية عن الجريدة العادية بأنها أكثر منها حيوية فى تقديم الأخبار ، فالصورة المتحركة أقرب إلى الحقيقة وإلى الحياة من مجرد وصف مطبوع وصور ساكنة . وتنتقى الجريدة السينمائية أخبارها بحرص ودقة أكبر ، إذ لا يتسع وقتها إلا لعدد محدود من المواد الصالحة للتصوير السينمائى . ولذلك تختلف أخبار الأسبوع التى تظهر على الشاشة الفضية اختلافا بينا عن أخبار الأسبوع التى تظهر فى الصحف اليومية ، أو التى تذاع بالراديو ، وتحتل أخبار الاحتفالات والمهرجانات الرسمية والعسكرية والرياضية والحوادث عادة نصيب الأسد فى الجريدة السينمائية فى البلاد الرأسمالية ، بينما لا تحظى الانجازات الثقافية والعلمية والمشكلات الاجتماعية إلا بجانب يسير من الانتباه .

ولا يتغير هذا الوضع إلا فى حالات الحروب والاستعداد لها ؛ إذ تطغى أخبار الحرب وأحداثها ومؤتمراتها على غيرها من المواد .

والجريدة الإخبارية السينمائية - بوضعها هذا - تخدم بصفة عامة الوضع السياسى والاجتماعى القائم فى البلد المنتجة .

الجريدة السينمائية والرأى العام

تتميز الجرائد السينمائية عن سائر الأفلام فى أنها تعالج أحداثاً حقيقية ولذلك يقع الخطر الكبير فى هذه الجرائد إذا ما عمدت إلى تزييف هذه الأحداث .

كما أن تعمد إهمال حدث معين أو تأخير عرض الأحداث من شأنه الإقلال من تأثيرها وأهميتها . ويلعب التعليق على الأخبار دورا هاما فى الجرائد السينمائية حتى ولو اقتصر على مجرد شرح الأحداث التى تظهر على الشاشة . وهناك مناسبات كثيرة يستعاض فيها بالتعليق عن بعض المناظر المفقودة : كما يحدث مثلا فى حالة الأزمات الوزارية أو الدولية إذ يكتفى فيها بتصوير بعض الشخصيات وهى تغادر مبانى الوزارة أو تستقل سياراتها ويتولى المعلق الباقى . وهذا يوضح مدى أهمية المعلق ومسئوليته فى عرض الأحداث .

ولا يمكن لأحد أن يدعى أن الجرائد الإخبارية السينمائية تعطى دائما صورة دقيقة للحقائق، فالقول بأن الكاميرا لا تكذب قول نسبى، إذ يستطيع المخرج أو المصور الماهر أن يستغل زاوية التصوير فى إحداث الأثر المطلوب الذى قد يكون مغايرا للحقيقة . وهناك أيضاً من الحيل السينمائية الأخرى ما يمكن أن يباعد تماما بين الموضوع وبين الواقع أو الحقيقة . ومن المعروف أن الدعاية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية كانت تقتطع أجزاء من بعض الأفلام ، وتجمعها معا لتصوير انتصارات وهمية للجيوش النازية .

وتلعب الجرائد الإخبارية السينمائية دوراً خطيراً جداً فى ميدان الرأى العام العالمى ، ذلك أن المشاهد غالبا ما يكون رأيه عن الأحداث العالمية الجارية أو عن بلد معين أو عن شعبها أو عن أحد كبار الشخصيات فيها من خلال الطريقة التى تعرض بها الجريدة الإخبارية مادتها ، وهذا يعنى فى كثير من الأحيان تكون آراء خاطئة شائعة قد يكون لها آثارها الضارة فى ميدان العلاقات الدولية .

مما يزيد الطين بلة أن المشاهد بحكم تلاحق المشاهد والمناظر والموضوعات المختلفة لا يستطيع ـ مهما بلغ من قوة الإدراك ـ أن يعمل عقله الناقد كى يميز

بين الزائف والصحيح والمعقول وغير المعقول ، كما أن المشاهد أيضاً يتقبل التعليق المفروض عليه دون أن تكون لديه أية فرصة لمعرفة مصدر هذا التعليق وكاتبه الأصلى أو إعادة قراءته وفحصه كما هو الحال مع قارئ المقال الصحفى مثلا .

وخلاصة القول أن الأمور التى تؤخذ على الجرائد السينمائية الاخبارية فى البلدان الرأسمالية فى الوقت الحالى هى :

أولا : أن خضوع هذه الجرائد الإخبارية السينمائية لرأس المال الخاص يعرضها لنوع من الرقابة الرأسمالية لصالح أصحاب رؤوس الأموال تحول بينها وبين أداء الوظيفة الاجتماعية الملقاة على عاتقها . ومن أمثلة ذلك مصادرة اللقطات التى التقطها أحد المصورين السينمائيين الاخباريين لمقتل عشرة من قادة إحدى المظاهرات العمالية برصاص البوليس أمام مصنع شركة الصلب فى شيكاغو عام ١٩٣٧ مع أن هذه اللقطات كانت تدين المسئولين عن المصنع ورجال البوليس .

ثانيا : تحيزها الواضح فى النواحى السياسية والعنصرية مما يضفى عليها طابعا دعائيا صريحا .

ثالثا : اهتمامها بمظاهر الأحداث دون محاولة للتعمق فيما وراءها، أو فى الأسباب الحقيقية لها، مما يجعلها صورة مكررة لنشرات الأخبار التليفزيونية.

رابعا : تركيزها أحيانا ـ لأسباب سياسية ـ على الجانب الفكه والخفيف والمسلى من الأحداث، حتى ليظن المشاهد أن العالم قد خلا فجأة من المشكلات.

خامسا : عدم مطابقة التعليق، فى مناسبات كثيرة ـ للحقائق ـ واستخدام الحيل السينمائية فى مناسبات أخرى لخداع النظارة واختلاق أخبار كاذبة أو مشوهة .

ومما لا شك فيه أن من مصلحة الرأى العام تحرير الجرائد الاخبارية السينمائية من سيطرة رأس المال الخاص وتنظيم صدورها بشكل يتيح الفرصـــة أمام العاملين فيها والمسئولين عنها لاختيار المواد الاخبارية الجديرة بالعرض على الجمهور ولزيادة العناية بإخراجها . كما أنه لا بد — فى اعتقادنا — من ارتباط كافة العاملين فى هذا النوع من الصحافة السينمائية بنفس عهود الشرف الخاصـــة بالعاملين فى الصحافة وأجهزة الإعلام الأخرى ، وأن يكون هدفهم الأول هو نشر الحقيقة والتقريب بين الشعوب عن طريق العرض الموضوعى لحياة الشعوب المختلفة وتقدمها وكفاحها .

الفصل السابع

السينما السوفيتية

السينما السوفيتية

فى عام ١٩٠٧ قال لينين فى معرض حديثه عن السينما :

« عندما تستحوذ الجماهير على الفيلم ويصبح فى أيدى الدعاة الحقيقيين للثقافة الاشتراكية فإنه سيصبح وسيلة من أقوى الوسائل لتعليم الجماهير » ..

وترجع أهمية هذا الكلام إلى أنه قيل فى عهد الطفولة المبكرة للسينما ، بل فى طفولة السينما الصامتة ، ومع ذلك فقد كان تقديرا حصيفا لإمكانيات السينما ودورها فى مجتمعنا المعاصر .

ويتفق هـذا الرأى مع أقوال ستالين بعد قيام الدولة السوفيتية بعدة سنوات ، إذ قال فى إيضاح وجهة النظر السوفيتية فيما يتعلق بوظيفة السينما ودورها :

« إن الفيلم وسيلة عظمى لتوعية الجماهير ... إنه قوة عظيمة لا يمكن تقديرها ... تساعد الطبقة العاملة وحزبها على توعية الكادحين بروح الاشتراكية .. كما تساعد فى تنظيم الجماهير .. وفى رفع كفاءتها النضالية سياسياً وثقافياً » .

الواقعية الاشتراكية فى السينما :

ولكى نزداد فهماً لاتجاهات السينما السوفيتية والدور الذى تقوم به فى خدمة المجتمع السوفيتى لا بد من أن نتعرض بالحديث لشعار « الواقعية الاشتراكية » الذى هو أساس الإنتاج السينمائى السوفيتى ، بل هو أساس الإنتاج الفنى السوفيتى بصفة عامة منذ أن رفع العاملون فى الفنون هـذا الشعار عام ١٩٣٤ .

وتفسر كاترين دى لاروش فى بحثها القيم عن الفيلم السوفيتى الناطق[1] المقصود بالواقعية الاشتراكية فى الفن فتقول : « بلغت نظرية الواقعية الاشتراكية مرحلة النضج والتعريف حوالى عام ١٩٣٢ ، ففى أبريل من ذلك العام تمت إعادة النظر فى جميع الهيئات الفنية والأدبية والتنسيق بينها ، وسرعان ما أصبح اصطلاح الواقعية الاشتراكية عملة شائعة . وخلاصة القول فإن المقصود بهذا الاصطلاح هو الفن الذى تنبت جذوره من حياة المجتمع والذى يبدع لصالح المجتمع كله مستهدفا تفسير الحقيقة فى الماضى والحاضر فى ضوء الايديولوجية الاشتراكية . والواقعية الاشتراكية تستبعد الأنانية فى كل مظاهرها ولكنها تشجع فردية التعبير الفنى ، كما أنها تستخدم جميع أشكال الفن الدرامى من المسرحية الساخرة إلى المسرحية الخيالية إلى الكوميديا طالما استخدمت كوسيلة للتعبير لا كنهاية فى حد ذاتها . والواقعية الاشتراكية ليست تعصبا أعمى ، فعناصرها تتطور وتتغير مع المجتمع الذى نعيش فيه » .

خلاصة القول أن السينما السوفيتية تجند إمكانياتها جميعاً للمساهمة فى خدمة المجتمع عن طريق عملية البناء الاشتراكى وبث الحوافز وإعلاء الهمم وتمجيد العلاقات والقيم الإنسانية الجديدة فى ظل المجتمع الجديد .

لذلك يلاحظ أن أغلب ما أنتجته السينما السوفيتية مرتبط بخلق شخصيات شعبية أصيلة ، تتجسد فيها حقيقة الواقع ، وتعرض اتجاهات تطوره ، فالبطل فى السينما السوفيتية يعكس آمال الشعب ويقتحم الصعاب من أجل إقامة عالم جديد .

---

(١) نورلد دبكنسون وكاترين دى لاروش — السينما السوفيتية ص ٤٠ — فالكون برس لندن ١٩٤٨

ولقد أظهر الفن السينمائى السوفيتى منذ الوهلة الأولى إتقانه لأسلوب الواقعية الاشتراكية بالرغم من أن فكرة الواقعية الاشتراكية كما قدمنا لم تستكمل مقوماتها إلا حوالى عام ١٩٣٤ . ويتضح ذلك بجلاء فى تلك الأفلام العظيمة التى أنتجها الاتحاد السوفيتى فى العشرينيات من هذا القرن وهزت العالم بروعتها مثل فيلم « المدرعة بوتمكين » للمخرج الشهير ايزنشتين وفيلم « الأم » لبوتفكين . وهذا الاتقان العظيم لعرض الأفكار فى صورة فنية مكتملة العناصر وذات جاذبية جماهيرية عظيمة يتمشى تماما مع تحديد لينين لمهمة السينما بعد قيام الدولة الاشتراكية .

فقد تعرض لينين عام ١٩٢٢ للحديث مرة أخرى عن مهمة السينما فوصفها « بأنها الدعاية الفنية لأفكارنا فى شكل أفلام شائقة تعرض كل ماهو حسن ومتطور ومتفائل، وتهاجم كل ما هو سلبى فى حياتنا وفى حياة الطبقات والبلاد الأخرى » .

وينبغى أن نوضح أن أسلوب الواقعية الاشتراكية لا يطبق على البطولات الثورية فقط ، وإنما يطبق أيضاً على تصوير الحياة اليومية للناس ذلك أن الأفكار الاشتراكية ووجهة النظر الاشتراكية قد أصبحت منذ زمن بعيد أساس نظرة الفنانين السوفيت لجميع نواحى الحياة .

أخطاء السينما السوفيتية :

ومع ذلك فإن السينما السوفيتية لم تسلم من بعض الأخطاء نتيجة لقصور بعض الفنانين ، مما صبغ بعض الأفلام السوفيتية بصبغة دعائية فجة . ولعل من أكبر الأخطاء التى تردت فيها السينما السوفيتية وأخذها عليها المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ذلك الاتجاه الخاطئ الذى سايرت فيه الأدب والفن بصفة عامة تحت تأثير عبادة ستالين إذ حلت

شخصية ستالين فى بعض الفترات محل الشخصيات الشعبية الأصيلة التى يعنى بها الفيلم السوفيتى عادة ويجسم فيها الشعب بأسره .

على أية حال لقد تخلصت السينما السوفيتية بعد موت ستالين من كثير من عيوبها، وفتحت أمامها مجالات جديدة كثيرة للانطلاق والتعبير؛ حتى لقد شاهدنا أفلاماً عديدة تتناول بالنقد والتهكم المرير بعض نواحى الحياة السوفيتية وخاصة النواحى المتصلة بالبيروقراطية الوظيفية أو الفكرية سواء فى الحزب أم فى الحكومة .

والأمر الذى لا شك فيه أن السينما بانطلاقاتها الجديدة فى الاتحاد السوفيتى تلعب دوراً هاماً وخطيراً فى حياة الشعب السوفيتى كمعلم ومرشد وموجه، أو بمعنى آخر كأداة من أدوات الثقافة الفنية والأدبية والسياسية وكأداة للنقد والنقد الذاتى البناء .

الفصل الثامن

السينما المصرية



السينما المصرية

نشأة السينما المصرية وتطورها :

عرفت مصر السينما منذ بداية ظهور هذا الاختراع تقريباً . ففى عام ١٨٩٦ أى بعد عرض الاخوان لوميير لشريطهم السينمائى الأول فى باريس بأشهر قليلة عرض فى الاسكندرية شريط سينمائى باسم « شريط مضىء » وكان ذلك فى مقهى يدعى « زافانى » .

وقد دفع نجاح هذا العرض التجار الأجانب لاستيراد شرائط أخرى ثم إلى إنشاء صالات خاصة بالعرض السينمائى بلغ عددها عام ١٩٠٨ خمس صالات فى القاهرة وثلاث فى الإسكندرية وواحدة فى كل من بورسعيد وأسيوط والمنصورة ، ومنذ عام ١٩١٢ استحضر بعض الممولين الأجانب بعض المصورين السينمائيين إلى البلاد وصورت بعض المناظر المحليـــة وعرضت على المشاهدين ، ومن هذه المناظر ميدان الأوبرا فى القاهرة والسياح على ظهر الجمال فى الأهرام وعودة الخديوى وموكبه فى شوارع الإسكندرية والخروج من القداس فى كنيسة القديسة كاترين وحركة المسافرين فى محطة سيدى جابر .

ومع مطلع عام ١٩١٨ ظهرت بعض الأفلام الروائية القصيرة التى قام بتمثيلها ممثلون مصريون ، وذلك بعد فشل الممثلين الأجانب فى جذب الجمهور المصرى إلى الأفلام المحلية التى أنتجتها الشركة السينمائية الإيطالية المصرية .

ولقد شهد عام ١٩٢٧ مولد السينما المصرية الحقيقية . فى ذلك العام عرض أول فيلم روائى مصرى طويل بعنوان « ليلى » من إنتاج عزيزة أمير -

الممثلة المسرحية الشهيرة فى ذلك الوقت — ومن تمثيلها ، ثم توالى الإنتاج الروائى السينمائى المصرى بعد ذلك .

وشهدت مصر أول إنتاج سينمائى مصرى ناطق عام ١٩٣٢ حين عرض فيلم باسم أنشودة الفؤاد بسينما ديانا بالقاهرة .

وقد استطاعت السينما المصرية أن تجذب جمهوراً كبيراً من المشاهدين فى فترة الحرب العالمية الثانية حيث بلغت اوج ازدهارها من الناحية المادية ، فبينما بلغ عدد الأفلام المصرية المنتجة فى الفترة من عام ١٩٢٧ إلى ١٩٣٩ (أى فترة ١٢ عاما) ٨٥ فيلما ، بلغ عدد الأفلام المنتجة خلال الحرب (١٩٣٩ — ١٩٤٥) ١٠٦ فيلما ووصل الإنتاج فى الفترة من عام ١٩٤٦ إلى ١٩٦٠ (أى فترة ١٥ سنة) إلى ٨٤٨ فيلماً .

ويحافظ الإنتاج السينمائى للمصرى حالياً على معدل ستين فيلما سنوياً تقريباً .

السينما المصرية قبل الثورة :

كانت السينما المصرية قبل الثورة تحاكى السينما الأمريكية وتتخذ منها مثلها الأعلى إلى حد اقتباس نفس الموضوعات التى تعرضها مع تمصير الأسماء والأماكن . ولذلك سادت أفلام الجنس والجريمة . وهذا أمر طبيعى فى ظل المثل الاستغلالية التى كانت تتحكم فى صناعة السينما فى ذلك الوقت .

ولقد كتب جورج سادول المؤرخ والناقد السينمائى مؤرخاً للسينما المصرية فى تلك الفترة : « إن البنـــوك ، سيدة الاستديوهات ، قد زادت عقب الحرب العالمية الثانية من إنتاج أفلام هوليوود الناجحة . كما زادت رقابة الملك فاروق عنفا بتطبيقها لقوانين الرقابة التى وضعها الإنجليز

عام ١٩١٤ . وأعلنت القاهرة نفسها هوليوود الشرق رغم المعانى التافهة والرخيصة التى يتضمنها ذلك التشبيه . وكانت أحداث الأفلام الكوميدية والدرامية تدور كلها فى صالونات فاخرة جداً حيث السيدات فى ملابس السهرة والسادة يرتدون السموكنج والطربوش مع فقرات من الأغانى وعروض الملاهى الليلية ورقص البطن . وهذه السينما الرخيصة البعيدة تماما عن الواقع المصرى الشديد البؤس كانت وثيقة الصلة بالفساد المتغلغل الذى كان يعم عهد فاروق وخاصة فى سنواته الأخيرة . وبالثورة على حكم فاروق فى يوليو ١٩٥٢ بزغت مرحلة جديدة فى تاريخ مصر وفى تاريخ السينما المصرية » .

والحقيقة أن السينما المصرية كانت قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ خاضعة تمام الخضوع لاتجاهات وميول وأهواء مموليها من أغنياء الحرب والأجانب المتمصرين الذين كان ينقصهم الاحساس بالجمال وتعوزهم الثقافة والقدرة على الانفعال بمشاعر الجماهير والتعبير عن إحساساتهم . ولم يكن لأولئك الممولين من هدف سوى جمع أكبر قدر ممكن من الربح بأيسر السبل وأرخصها دون اهتمام حقيقى برفع مستوى الفيلم المصرى أو المنـــاداة بقيم جديدة .

ولم يشذ عن هذا الطريق سوى عدد قليل جداً من السينمائيين المثقفين الذين قاموا بإنتاج بعض الأفلام الأصيلة التى تعالج مشكلات اجتماعية حقيقية منبثقة من واقع المجتمع المصرى . غير أن هذه المحاولات ظلت محصورة فى نطاق ضيق لا تحظى بعطف الممولين ولا بعطف السلطة الحاكمة بطبيعة الأشياء .

وهكذا ظلت السينما المصرية خلال تاريخها الطويل تفتقر إلى الطابع القومى الأصيل والطابع الفنى المتميز .

(٧)

السينما المصرية بعد الثورة :

كان من الطبيعى بعد الثورة أن ترتفع الدعوة إلى تخليص السينما المصرية من المستغلين الذين انحرفوا بها عن الرسالة التى كان يجب أن تقوم بها فى خدمة المجتمع والذين ساعدهم على هذا الانحراف سيطرتهم على الإنتاج ودور العرض والتوزيع داخل البلاد وفى البلدان العربية .

وقد اقتصر تدخل الدولة فى بداية الأمر على محاولة للنهوض بصناعة السينما عن طريق إنشاء مؤسسة لدعم السينما تقدم القروض للأفلام بعد دراسة موضوعاتها والاقتناع بها وتقدم الجوائز للإنتاج الجيد .

على أن المسئولين مالبثوا أن تبينوا ضرورة انتهاج سياسة جديدة شاملة للنهوض بهذا المرفق الهام بصورة جدية سواء من الناحية الفكرية أو الفنية ، فصدر القرار الجمهورى رقم ٤٨ لعام ١٩٦٣ بإنشاء المؤسسة المصرية العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون . وقد قام قطاع السينما فى المؤسسة المذكورة بإنشاء أربع شركات بلغ مجموع رأسمالها ٢,٢٥٠,٠٠٠ جنيه ، هى الشركة العامة لتوزيع وعرض الأفلام السينمائية ورأسمالها ستمائة وخمسون ألفا من الجنيهات وهدفها إنشاء أربعة آلاف دار أو قاعة للعرض السينمائى تغطى كافة قرى الجمهورية مما يؤدى إلى تخليص الفيلم المصرى من تحكم الموزعين المستغلين واستبدادهم حتى بأذواق الجماهير ، والشركة العامة للإنتاج السينمائى العربى ورأسمالها نصف مليون جنيه ، وهدفها العمل على النهوض بالفيلم العربى موضوعياً وفنياً ، والشركة العامة للإنتاج السينمائى العالمى ورأسمالها نصف مليون جنيه أيضاً وهدفها إنتاج أفلام عالمية بمفردها أو بالاشتراك مع أية شركة أو هيئة عالمية للانتاج السينمائى ، والشركة العامة لاستوديوهات السينما ورأسمالها ستمائة ألف جنيه وهذه الشركة تسيطر الآن سيطرة تامة على كافة الاستديوهات السينمائية فى البلد ما عدا استوديو واحدا فقط .

وهكذا دخلت الدولة إلى كافة مجالات العمل السينمائى وأصبح مصير السينما المصرية فى يد المسئولين عن هذا القطاع الهام إيماناً من الدولة بالدور الذى ينبغى أن تلعبه السينما فى مرحلة التغيير الاشتراكى .

السينما المصرية والتحول الاشتراكى :

والحقيقة — كما يقول أحد التقارير التى رفعها طائفة من السينمائيين المثقفين إلى بعض الجهات المسئولة — « أن هذا الوضع الحالى للسينما المصرية الذى ضمن تخلصها إلى أكبر حد من سيطرة الملكية الخاصة المستغلة يلقى مسئوليات كبرى على الشركات والمؤسسات السينمائية التابعة للقطاع العام وعلى المسئولين عنها وعلى الفنانين السينمائيين جميعاً . إذ يجب أن يضع هؤلاء جميعاً نصب أعينهم دائما ما أشار إليه الرئيس جمال عبد الناصر فى احدى خطبه فى مجلس الأمة إذ وضع «تدعيم القيم الاشتراكية بين الأهداف الخمسة الرئيسية للمرحلة القادمة » .

ولا ريب أن السينما المصرية تستطيع أن تساهم بدور هام وجوهرى فى ابراز المنجزات الثورية العظيمة التى تتم كل يوم فى بلادنا، وتدعيم القيم الاشتراكية وتعميقها فى ضمائر الجماهير سواء عن طريق الفيلم الروائى أو الفيلم التسجيلى، ونضرب مثالا ناجحا لذلك بمجموعة الأفلام التسجيلية التى تنتجها مصلحة الاستعلامات بعنوان «سباق مع الزمن» و«مذكرات مهندس» والتى سدت فراغا ملحوظا لم تستطع الإذاعة أو الصحافة أن تملأه بالنسبة لمتابعة جماهير شعبنا لتطور العمل وتقدمه فى السد العالى ولتقديرهم لمدى الجهد العظيم الذى يبذله نفر من أبناء الوطن فى تلك المنطقة القاصية من أرض الوطن فى سبيل بناء المستقبل ، ولكم نرجو أن تكون هذه المجموعة من الأفلام مقدمة لمجموعات أخرى مماثلة تتابع ثورة التصنيع والتعمير والإنشاء فى بلادنا وتقرب مفهوم الاشتراكية وثمراتها إلى جماهير شعبنا

عن طريق نقل صـــورة حية صادقة متتابعة لخطوات تنفيذ مشروعات السنوات السبع الجارى تنفيذها حاليا . .

وهنا تبرز قضية هامة تتعلق بضرورة إعادة تشكيل أذواق الجماهير فى بلادنا بالنسبة للفيـلم . فالمعروف أن اقبال جمهورنا على أفلام الاثارة والجنس أكثر من اقباله على الأفلام ذات الموضوعات الجادة والمستوى الفكرى والفنى الرفيع . وذلك نتيجة تربيته السابقة على نهج السينما الأمريكية والسينما العربية السائرة فى ركابها . وتغيير هذا الوضع اليوم يتطلب تضافر الجهود لاعادة تربية هـــذا الجمهور فنيا واعداده ثقافيا لتذوق القيم الفنية والاجتماعية الجديدة وتقبلها ولو أدى ذلك إلى انخفاض محتمل ومؤقت فى إيرادات الأفلام العربية ، فهذا لون من التضحية لا بد من أن تتحمله الدولة فى المرحلة الحالية إلى أن تستقر مكانة الفيلم العربى بمفاهيمه الايجابية الجديدة .

وينبغى أن ننبـه إلى أننا حين ننادى بتضافر الجهود هنا فإنما نعنى لا جهود العاملين فى ميدان السينما فحسب بل جهود كافة العاملين فى أجهزة الاعلام المختلفة وعلى رأسها الإذاعة والتليفزيون والمسرح والصحافة ، وكذلك أجهزة الرقابة على الأفلام الأجنبية . فتربية الجماهير وإعادة تشكيل أذواقها وقيمها مسئولية لا تتجزأ .

ولاشك أن أمانة الدعوة والفكر فى الاتحاد الاشتراكى العربى تستطيع أن تلعب دوراً قيادياً هاماً لتحقيق هذا الهدف على النحو المأمول .

السينما المصرية والعالم العربى :

من المشاهد أن الجمهورية العربية المتحدة دون سائر الـــبلاد العربية

ـ تملك ـ صناعة سينمائية راسخة وناجحة ، كما أنها البلد العربى الوحيد الذى يصدر أفلامه إلى المنطقة العربية . وتكاد الأفلام المصرية أن تحتل المرتبة الثانيـــة فى التوزيع فى البلدان العربية بصفة عامة بعد الأفلام الأمريكية . والواقع أن هذا الوضع بجانب الأوضاع السياسية والاجتماعية للمنطقة يلقى على كاهل صناعة السينما المصرية مسئولية كبرى تجاه الشعوب العربية .

لذلك فقد ارتفعت الأصوات مطالبة بأن تقدم السينما المصرية للشعوب العربية ـ بجانب الأفلام الخفيفة ذات المضمون الاجتماعى والإنسانى العام ـ أفلاماً تاريخية تؤكد رابطة الكفاح المشترك بين هذه الشعوب والمصير المشترك الذى يجمع بينها ، وأفلاماً تكشف ألاعيب المستعمرين وأراجيف عملائهم، وتعطى صورة مشرقة للحاضر المجيد والغد العظيم الذى تشيده الجمهورية العربية المتحدة بكفاح أبنائها وتصميمهم على تدعيم استقلال الوطن سياسياً واقتصاديا .

ومن ناحية أخرى ينبغى أن يزداد الاهتمام بالجريدة السينمائية المصرية وبتطويرها مادة وإخراجا ، لكى تصبح بحق نافذة حية تتابع الشعوب العربية من خلالها ـ أسبوعاً بعد أسبوع ـ الانجازات العظيمة التى تتم فى بلادنا، ووجهة النظر العربية بالنسبة للقضايا الأساسية التى تهم كافة هذه الشعوب والتى تربطها جميعاً برباط واحد ومستقبل واحد .

الفصل التاسع

التليفزيون

التليفزيون

بدأ التليفزيون يحتل مكانته كوسيلة إعلامية هامة بعد الحرب العالمية الثانية حيث أخذت محطاته تنتشر فى جميع أنحاء العالم وزادت مبيعات أجهزة الاستقبال التليفزيونى زيادة كبيرة .

ويعد التليفزيون بحق أقوى أداة عرفت فى تاريخ وسائل الاعلام الجماهيرية ، وذلك بنقله الصوت والصورة فى آن واحد إلى ملايين البشر فى بيوتهم ونواديهم بمجرد الضغط على مفتاح صغير دون حاجة إلى الارتباط باستعدادات خاصة ومواعيد محددة كما هو الحال مثلا بالنسبة للمتردد على السينما أو المسرح .

ويقدر البعض تأثير التليفزيون فى المشاهدين بثلاثة أضعاف تأثير الإذاعة ، ذلك أن برامج التليفزيون تعطى إحساساً بالألفة والصداقة كثيراً ماتفتقدها برامج الإذاعة التى تعتمد على الصوت والمؤثرات الصوتية وحدها ، كما أن برامج التليفزيون العادية لا تتطلب من المشاهد سوى أقل مجهود عقلى لمتابعتها ، بعكس برامج الإذاعة التى تحتاج إلى إمعان العقل نسبيا فى التصور والتخيل وتقمص الشخصيات .

ومع ذلك فنظراً لضيق نطاق الإرسال التليفزيونى فى الوقت الحاضر وضخامة تكاليفه وارتفاع أثمان أجهزة الاستقبال الخاصة به فإن الإذاعة مازالت تحتل فى معظم أنحاء العالم المركز الأول فى ميدان توجيه الجانب الأكبر من الرأى العام ، وإن كان من المشكوك فيه أن يستمر هذا الوضع طويلا .

نشأة التليفزيون وتطوره :

بدأ الإرسال التليفزيونى على نطاق محلى ضيق فى مدينة لندن فى الثانى من نوفمبر عام ١٩٣٦ وقد أمكن عن طريق التليفزيون البريطانى إذاعة حفلة تتويج الملك جورج السادس فى ٦ مايو ١٩٣٧ . وقد أحرز الإرسال التليفزيونى البريطانى تقدماً ملموساً قبيل نشوب الحرب بقليل إذ بلغت ساعات الإرسال اليومى ست ساعات تقريباً طيلة أيام الأسبوع وبلغ عدد أجهزة الاستقبال التليفزيونى المستخدمة فى منطقة لندن ٢٠٫٠٠٠ جهاز . ومع ذلك فقد قضت الحرب العالمية الثانية على التليفزيون البريطانى الوليد منذ اليوم الأول لنشوبها ، ولم تقم له قائمة مرة أخرى إلا بعد سنوات من إنتهائها حين أعيد الإرسال التليفزيونى على أسس جديدة فى يونيو عام ١٩٥٣ .

والواقع أن صناعة التليفزيون قد تقدمت تقدما مطرداً فى السنوات التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية وخاصة منذ عام ١٩٥٧ .

وحسب الأرقام التى استطعنا الحصول عليها ـ وهى أرقام خاصة بعام ١٩٦٢ ـ يتضح أن الإرسال التليفزيونى قد عرف طريقه إلى ثمانين دولة من دول العالم ومنها دول أسيوية وإفريقية حديثة الاستقلال ، وقد قدر عدد أجهزة الإستقبال التليفزيونى فى العام نفسه بـ ١١٠ مليون جهاز منها ٦٥ مليونا فى الولايات المتحدة وحدها و١٢ مليونا فى إنجلترا والأجهزة الباقية موزعة على سائر دول العالم .

ويقدر عدد المشاهدين المنتظمين لبرامج التليفزيون فى جميع أنحاء العالم بحوالى ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مليون مشاهد يومياً . وهذا الرقم يؤكد الأهمية المتزايدة لهذا الجهاز الإعلامى الخطير فى عالمنا المعاصر .

مهمة التليفزيون ورسالته :

وتختلف النظرة إلى مهمة التليفزيون من بلد إلى أخرى حتى بين البلاد ذات النظم الاجتماعية المتشابهة . وهذا يعود - فى المقام الأول - إلى وضع التليفزيون فى كل دولة من الدول التى بها محطات إرسال تليفزيونى ومدى خضوعه لإشراف الدول وتوجيهها .

ومقارنة بسيطة بين وضع التليفزيون فى بلدين رأسماليين -هما الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا - يمكن أن توضح مدى التفاوت فى النظرة إلى دور التليفزيون ووظيفته .

فبينما يتسابق التليفزيون الأمريكى الذى تمتلكه شركات الاعلان على تملق الجماهير وجذبها بأرخص الطرق والأساليب — وهو ما سنتحدث عنه بشىء من التفصيل فيما بعد — نجد على النقيض من ذلك أن التليفزيون البريطانى الذى تديره هيئة الاذاعة البريطانية الخاضعة لإشراف الدولة الدقيق يكرس معظم جهده لنشر الثقافة والارتفاع بمستوى الجماهير .

فقد استطاع التليفزيون البريطانى أن يزيد من الطبقة المثقفة زيادة ضخمة ، وهى الطبقة التى توجد فى موقف وسط بين طبقة المتخصصين والمتعلمين ، وذلك بفضل نجاحه فى توجيه مشاهديه إلى أن ينهلوا من منابع الثقافة وفى أن يخلق عند ملايين الناس الرغبة فى الحصول على مزيد من المعلومات فى شتى ميادين العلم والمعرفة.

وفى هذا المعنى كتب أحد المشرفين على التليفزيون البريطانى فى مجال توضيح رسالته وأثره يقول « إن من تكرار الحديث أن نذكر أن التليفزيون قد أصبح المعلم العظيم للشعب ، فإن ما يقوم به الآن أكثر عمقاً وأبعد أثراً مما كانت تقوم به الصحافة فى بداية هذا القرن. فى المناطق

الريفية من الجزر البريطانية وهى المناطق التى لم تكن قد وصلت إليها العلوم العميقة أو التى لم تكن تهتم بالتعمق فى الميدان العلمى كما هو الحال فى لندن والمدن الكبيرة ، نجد أن التليفزيون قد أوجد هذا الوعى الثقافى التربوى بنسبة كبيرة . فلقد اتسعت ثقافة الملايين فى إنجلترا فيما يتعلق بالأمراض والصحة العامة والصحة العقلية والأزياء والشئون المنزلية والسياسية والاقتصادية [١] » .

ومن الأمور الجديرة بالذكر أن التليفزيون البريطانى لا يخصص قناة خاصة للمثقفين وإنما يوجه برامجه على البرنامج العام لكافة فئات الجمهور لإيمان المشرفين عليه بأن وظيفة التليفزيون الأساسية هى رفع مستوى الجماهير العريضة والارتقاء بها ثقافياً وعلميا . وهو أمر جدير بأن يحتذيه المشرفون على الارسال التليفزيونى فى بلادنا .

التليفزيون والرأى العام المحلى :

يصدق الكلام الذى ذكرناه فى مجال حديثنا عن الاذاعة وأثرها فى الرأى العام المحلى على الاذاعة المرئية أيضاً أو التليفزيون . ولذلك فليس ثمة ما يدعو إلى تكرار الحديث .

وسنكتفى هنا بتأكيد أهمية التليفزيون فى الدعاية السياسية بصفة خاصة . فالتليفزيون يوثق الصلة بين الجمهور والشخصيات السياسية البارزة أكثر مما تستطيع الاذاعة .

ومع ذلك فإن نقل التليفزيون للصوت والصورة معا ليس دائماً فى صالح السياسيين ، فالتليفزيون لا ينقل الصورة ساكنة ولكنه ينقلها مشحونة بالأحاسيس والانفعالات . وقد يكتشف الجمهور فى بعض هذه

(١) حسن شحاته سعفان : التليفزيون والمجتمع .

الانفعالات الخـــداع والتزييف أو القسوة والعنف . ويقال إن هذا السبب كان أحد العوامل الهامة فى انعدام التجاوب بين السناتور الأمريكى مكارثى والرأى العام الأمريكى على غير ما كان يبغى أنصاره من الفاشيين والارهابيين .

ولقد أصبح التليفزيون من أهم الأسلحة التى تلجأ إليها الأحزاب فى الانتخابات لكسب ثقة الناخبين وأصواتهم . ولذلك تلجأ محطات الإرسال التليفزيونى فى البلدان التى يخضع فيها التليفزيون لإشراف الدولة إلى تخصيص أوقات متساوية للأحزاب المختلفة لعرض وجهات نظرها . أما فى البلدان التى تمتلك الشركات التجارية فيها محطات الارسال التليفزيونى فإن الأحزاب والمرشحين الأكثر ثراءهم وحدهم الذين يستطيعون الانفاق على هذا اللون من الدعاية الباهظ التكاليف ، ويقدر المبلغ الذى أنفقته الأحزاب الأمريكية فى انتخابات الرياسة الأمريكية على الدعاية بالتليفزيون بحوالى ستة ملايين من الدولارات عام ١٩٥٢ ارتفعت إلى عشرة ملايين عام ١٩٥٦ ثم خمسة عشر عام ١٩٦٠ .

التليفزيون والرأى العام العالمى :

قد يبـدو للباحث للوهلة الأولى أن التليفزيون بحكم دائرة إرساله المحدودة ليس له أى تأثير على توجيه الرأى العام العالمى . وحقيقة أن الاذاعة ما زالت هى أداة التأثير الأولى فى الدعاية الخارجية وعرض وجهات النظر على المستوى الشعبى العالمى وإذاعة الأحداث على العالم أجمع بمجرد وقوعها سواء رضيت الحكومات الأخرى أم لم ترض ، ومع ذلك فإن التليفزيون يستطيع أيضاً أن يكون عاملا من عوامل التأثير فى الرأى العام الخارجى، وذلك عن طريق تصدير البرامج المسجلة أو تبادلها. على أن إذاعة مثل هذه البرامج يخضع بطبيعة الحال خضوعاً تاما لإرادة

الدولة المستوردة وسياستها . وينطبق هذا بصفة خاصة على البرامج ذات الصبغة السياسية الواضحة . ومع ذلك فلابد من أن تعنى الدولة أيضاً بمراجعة البرامج الترفيهية المعلبة الواردة لها من الخارج ، وذلك لما قد تخفيه فى مضامينها من دعاية سياسية مستترة أو من ترويج لقيم واتجاهات وأنماط من السلوك من شأنها أن تعكس آثاراً ضارة على الأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة .

ولما كانت الأرقام تشير إلى أن برامج التليفزيون الأمريكى المعلبة تشغل أكثر من نصف وقت إرسال محطات التليفزيون فى جميع أنحاء العالم باستثناء الدول الشيوعية ، فلا بد إذن من أن نتناول هذه البرامج بالتحليل فى ضوء تعليقات الكتاب والمفكرين الأمريكيين أنفسهم على برامج التليفزيون فى بلادهم .

على أننا قبل أن نتطرق إلى هذا الحديث لا بد من أن نبين أن التعاون الدولى فى ميدان التليفزيون فى جو من الرغبة الحقيقية فى التعايش السلمى من شأنه أن يدعم فعلا أسس هذا التعايش السلمى . فليس هناك أداة أقوى من التليفزيون فى تعريف الشعوب بعضها إلى البعض الآخر ، وفى تدعيم الصلات الثقافية والفنية وبالتالى الصلات الإنسانية بينها .

ونحن إذ نؤكد الدور الهام الذى يمكن أن يلعبه التليفزيون فى التقريب بين الشعوب ودعم السلام العالمى ، إنما نضع فى حسباننا التجارب السابقة فى هذا الشأن حين أمكن بفضل التعاون الدولى تذليل كثير من الصعاب الفنية والسياسية التى كانت تعترض نقل برامج التليفزيون الحية مباشرة فى المناسبات الهامة بين الدول الأوربية . وبذلك استطاعت شعوب أوربية كثيرة أن تتابع فى الحال الدورة الأولمبية التى أقيمت فى روما عام ١٩٦٠

والاستقبال الحافل فى موسكو عام ١٩٦١ لجاجارين أول رائد فضاء فى العالم وكذلك احتفالات موسكو بيوم أول مايو فى العام نفسه .

ولاشك أن الإرسال والاستقبال التليفزيونى على النطاق العالمى عن طريق الأقمار الصناعية سيكون من شأنه إحداث ثورة فى أساليب الاتصال بالجماهير . على أن تحقيق هـذا يرتبط فى المقام الأول بتخفيف حدة التوتر العالمى الحالى ونمو الثقة بين الحكومات والشعوب المختلفة والرغبة الصادقة فى استخدام التقدم العلمى العظيم فى سبيل خير البشرية عامة وهنائها .

التليفزيون الامريكى :

يقوم التليفزيون الأمريكى على عاتق مؤسسات وشركات الإعلان الكبرى فى تلك البلاد . وقد حد هذا كثيراً من مهمة التليفزيون الأمريكى وكاد يحصر رسالته ووظيفته فى جذب أكبر عدد ممكن من المشاهدين خدمة للمعلن الأمريكى . وبذلك تركزت برامج التليفزيون الأمريكى فى خدمة الإعلان بدلا من الاهتمام برفع مستوى الجماهير فنياً وثقافياً والعمل على زيادة وعيها .

والواقع أن هذه الظاهرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأوضاع الاقتصادية القائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تطغى الاحتكارات الرأسمالية على كافة أوجه الحياة الأمريكية . فالنظام الرأسمالى الأمريكى الذى يعتمد اعتماداً كبيراً جداً على الإعلان فى توزيع إنتاجه المتضخم ـ وخاصة من السلع الاستهلاكية والكمالية ـ قد وجد فى التليفزيون أداة هامة وفعالة للايحاء المنظم للجماهير وحثها على مداومة الشراء والاستهلاك .

والتليفزيون الأمريكى فى سبيل أدائه لمهمته الأساسية والضرورية هذه ـ لحماية النظام الاحتكارى الرأسمالى ـ مجبر على استهواء الجماهير وجذبها بكل

الطرق وأرخصها ، مستخدما فى ذلك جميع وسائل الإغراء . فلكل دقيقة ثمنها وقيمتها فى عالم الانتاج والتوزيع .

ويصل الأمر بالمشرفين على محطات التليفزيون التجارى الأمريكى إلى درجة تجنب إذاعة البرامج الثقافية ما أمكنهم ذلك ، خوفاً من أن تجذب انتباه جانب من المشاهدين ، أو أن تبث فيهم عقلية أخرى لا تتلاءم مع العقلية المرسومة التى يسهل السيطرة عليها والايحاء لها .

والتليفزيون الأمريكى - كالسينما الأمريكية وكالصحافة الصفراء - يبرر هذه التفاهة والاستخفاف بعقلية الجماهير وبالقيم العالمية والاجتماعية البناءة متعللا بأنه إنما يستجيب لمطالب الجماهير ذاتها ، وأنه بهذا إنما يراعى مبادىء الديمقراطية الأصيلة وروحها ، والواقع على النقيض من ذلك . إن المشرفين على توجيه برامج التليفزيون الأمريكى إنما يحطمون جميع المبادىء الديمقراطية ويتنكرون لروحها الحقة حين يجندون أنفسهم لخدمة المصالح الاحتكارية المعلنة فى المقام الأول ، وهم لا يراعون مصالحها الاقتصادية فقط وإنما يراعون أيضاً - بطبيعة الحال - مصالحها السياسية واتجاهاتها الدولية وهم بذلك يشاركون مشاركة فعلية فى الحرب الباردة .

التليفزيون والاجيال القادمة :

وتمتد الآثار السيئة لبرامج التليفزيون الأمريكى إلى الأجيال القادمة من الشباب والأطفال ، وهنا يكمن الخطر الحقيقى على الأمن الداخلى والسلام العالمى . ويصدق فى هـــذا المقام كل الملاحظات التى سقناها فى حديثنا فى فصل سابق عن أثر السينما الأمريكية على الرأى العام الامريكى والعالمى وعلى الشباب والأطفال بصفة خاصة .

ونحن نؤكد هنا مرة أخرى مدى خطورة برامج التليفزيون الامريكى والأفلام الأمريكية على الأجيـــال الجديدة من الشباب . ويدفعنا إلى هذا التأكيد ما نشاهده يومياً فى التليفزيون العربى من هذه البرامج والأفلام .

وتؤكد الأرقام الرسمية الصادرة فى نشرة رسمية للحكومة الأمريكية نفسها فى مايو عام ١٩٥٩ العـلاقة الوطيدة بين التليفزيون الأمريكى وانحراف الأحداث ، ففى خلال السنوات من ١٩٤٠ إلى ١٩٥٧ - وهى التى شهدت ازدياداً كبيراً فى عدد أجهزة التليفزيون المباعة - ازداد عدد جرائم الأحداث المقيدة فى السجلات إلى أكثر من ثلاثة أضعاف ، كما يتضح من الإحصائية التالية [1] :

فى سنة ١٩٤٠ كان عدد قضايا الأحداث (من سن ١٠ إلى ١٧) هو ٢٠٠,٠٠٠ قضية بنسبة ١٠,٥ فى الألف .

وفى سنة ١٩٤٨ ارتفع العدد مع بدء انتشار التليفزيون إلى ٢٥٤,٠٠٠ قضية بنسبة ١٤,٧ فى الألف .

وفى سنة ١٩٥٠ قفز العدد إلى ٢٨٠,٠٠٠ قضية بنسبة ١٦,١ فى الألف .

وفى سنة ١٩٥٧ تضاعف إلى ٦٠٣,٠٠٠ قضية بنسبة ٢٧,٢ فى الألف .

ولقد صدق أحد الأطباء النفسانيين الأمريكيين إذ عقب على هذه الحالة قائلا : « إذا كان السجن هو كلية لدراسة الإجرام ، فالتليفزيون هو المدرسة الإعدادية للانحراف » .

وفى دراسة تحليلية لبرامج التليفزيون المخصصة للأطفال قام بها مؤلفو كتاب التليفزيون فى حياة أطفالنا - وشملت برامج خمس محطات تقدم

---

(١) التليفزيون فى حياة أطفالنا - ص ٢٧٤

خدمات تليفزيونية فى المنطقة التى اختاروها لدراستهم خلال أسبوع من أكتوبر ١٩٦٠ ـ اتضح أن الأطفال قد شاهدوا خلال المائة ساعة المخصصة لهم خلال الأسبوع المذكور ما يلى :

١٢ جريمة قتل .

١٦ معركة بالمسدسات .

٢١ شخصاً يصابون بالرصاص .

٢١ عملا عنيفا يتفاوت بين الإصابة بالرصاص أو الضرب .

٣٧ مناظر صراع وتضارب بالأيدى أو بأدوات مختلفة ، ومحاولات للخنق ، وصراع تحت الماء ، وتقييد لليدين .

١ إصابة بسكين فى الظهر .

٤ محاولات للانتحار نجح منها ثلاث .

٤ حوادث سقوط من مرتفعات عالية .

٢ حوادث سيارات تسقط من قمة جبل .

٢ محاولات لدهم أشخاص بالسيارة عمداً .

١ مريض هارب من مستشفى الأمراض العقلية يقوم بأعمال جنونية فى طائرة ركاب .

٢ منظران لجماهير متجمعة ، وفى إحدى الحالتين يقومون بشنق رجل لم يرتكب إثما .

١ حادث لرجل يسقط قتيلا تحت سنابك حصان .

وصور مختلفة لأعمال عنيفة منها صراع فى طائرة وقاتل مأجور يتعقب ضحيته ، وحادث سرقة ونشل ، وامرأة تسقط من قطار ، ومنظر زلزال

عنيف ، وموجة من الماء عالية ، ومنظر إعدام بالمقصلة [١] . وهكذا تتتابع برامج العنف بلا انقطاع لتشمل أكثر من نصف الساعات المائة المخصصة للأطفال . فما بالك ببرامج الكبار !

وتتضح خطورة هذه الدعوة السافرة الى استخدام العنف واقتراف الجريمة من النتائج التالية التى توصل اليها المؤلفون وهى :

١ — أن بعض الأطفال الصغار وقليلا من الكبار يخلطون بين عالم الواقع وعالم الخيال ، ويقلدون الأعمال العدوانية التى يرونها فى التليفزيون فى تصرفاتهم العادية فى الحياة .

٢ — الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون وفى نفوسهم ميل نحو الاعتداء ، يحتمل أن يتذكروا الأعمال العدوانية وأن يقوموا بمثلها إذا أحسوا بميل للاعتداء .

٣ — بصرف النظر عن المبادئ الأخلاقية والقيم نجد الأطفال على استعداد لتذكر العنف واستعمال أساليبه .

٤ — يرغب الأطفال فى أن يكونوا مثل الشخصيات الناجحة التى يرونها فى الخيال ويميلون إلى تقليدها سواء أكانت شريرة أم تعمل فى جانب الخير [٢] .

وفى اعتقادنا أن هذا الاتجاه لتمجيد القوة وتقديس البطل سواء أكان خيرا أم شريرا اتجاها بالغ الخطورة ، يمهد التربة الفنية لسيادة المثل الفاشية ، وبالتالى لتمجيد الحرب والعدان . ويزداد هذا الاتجاه خطورة فى التليفزيون عنه فى السينما لأن التليفزيون فى متناول اليد دائما ينفث سمومه ويرسبها فى العقل ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٣

دور التليفزيون فى البلدان النامية :

فى بلاد خلف لها الاستعمار ميراثا من التخلف والفقر والجهل والأمية لا يوجـــد أى مبرر لإدخال التليفزيون بنفقاته الباهظة ، إلا أن يكون إحدى الوسائل الفعالة فى المساهمة فى الحرب الجادة التى تخوضها حكومات هذه البلاد الحديثة الاستقلال وشعوبها ضد التخلف والفقر والجهل والأمية وجميع العوامل التى تؤثر فى البناء السليم للأمة ، كى تستطيع مقاومة الصور الجديدة للاستعمار والاستغلال .

وينطبق هذا الكلام على الدول النامية فى كل مكان سواء فى آسيا أم فى أفريقيا أم فى أمريكا اللاتينية .

فالتليفزيون فى هذه البلاد التى تتفشى فيها الأمية والجهل يستطيع أن يكون مدرسة عامة للشعب يبث عن طريقها الوعى السياسى والاجتماعى والصحى بصورة تعوض كثيراً من نواحى الجهل المنتشر . بل لقد استخدمت بعض الدول النامية هذا الجهاز بالفعل فى إجراء تجارب لمحو الأمية والتدريب المهنى . ويهمنا هنا أن ننوه بالتجربة الرائدة التى أجراها التليفزيون العربى فى هذا المضمار راجين أن يواصل جهوده .

ولكى تعم الفائدة المرجوة من التليفزيون أقدمت بعض البلدان على إنشاء ساحات للمشاهدة الجماعية فى مراكز تجمع العمال والفلاحين فى المدن والقرى زودتها بأجهزة التليفزيون العادية وأجهزة التليفزيون الترانزستور حيث تنعدم الكهرباء . ومن حسن الحظ أن الجمهورية العربية المتحدة قد اهتمت فى الفترة الأخيرة بتعميم مراكز المشاهدة الجماعية فى جميع مدن الجمهورية وقراها . على أن استكمال مثل هذه المراكز الجماعية لرسالتها يستدعى وجود مدير واع لها يتولى عقـــد ندوات وحلقات لتعميق التجارب

والآراء والارشادات التى يقدمها التليفزيون لمشاهديه ، خاصة فى الريف وفى مراكز التجمعات العمالية .

ولقد أثبتت المناقشات والتوصيات التى اتخذها المؤتمر الذى عقدته الدول الأفريقية فى لاجوس بنيجيريا فى سبتمبر ١٩٦٤ [١] ونظمته هيئة اليونسكو لمناقشة دخول التليفزيون وتطوره فى أفريقيا ، أثبتت وعى معظم الدول الأفريقية النامية بالدور الذى ينبغى للتليفزيون الأفريقى أن يلعبه فى حياة شعوب القارة ، مراعيا مصالح هذه الشعوب فى المقام الأول، غير متأثر باتجاهات التليفزيون فى البلدان الأوربية والأمريكية واليابانية. فالتليفزيون فى أفريقيا ليس مظهراً من مظاهر الأبهة ، وليس عنصراً كماليا ولكنه عنصر أساسى وضرورى لتجميع قوى الشعب وتعليمه والنهوض به وتخليصه من روح التفرقة والقبلية التى يستغلها مروجو الفتن وأنصار الاستعمار أو بمعنى آخر هو أداة قوية لتشكيل رأى عام قوى موحد يقف مع التقدم والتطور ، ويوقف من زحف القوى الاستعمارية والرجعية ووسيلة فعالة فى الحملة ضـــد التخلف فى المساعدة المجدية على تحقيق خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

التليفزيون العربى والمجتمع الجديد :

بدأ التليفزيون العربى إرساله فى يوليو عام ١٩٦٠ على قناة واحدة وكانت فترة الإرسال تستغرق خمس ساعات فقط يوميا. وقد زاد عدد قنوات التليفزيون العربى بعد ذلك إلى ثلاث قنوات ، كما زادت ساعات الإرسال اليومى تبعا لذلك إلى ٢٥ ساعة يوميا .

والأمر الذى لاشك فيه أن تعدد قنوات هذا التليفزيون الناشئ ، وكثرة ساعات الإرسال قد أوقعت المسئولين عنه فى أخطاء كثيرة لعلها

---

(١) راجع النص الكامل لتوصيات المؤتمر المذكور فى ملاحق هذا الكتاب .

كانت غائبة عن تقديرهم. فملء ساعات الإرسال الطويلة مع مراعاة المصاريف الباهظة للإرسال والبرامج قد اضطرت التليفزيون العربي إلى الاعتماد بنسبة مبالغ فيها على معلبات البرامج الأجنبية وخاصة الأمريكية، وعلى الأفلام العربية القديمة والأفلام الأجنبية التي تروج معظمها لقيم مغايرة تماما لقيم مجتمعنا الاشتراكي الجديد .

وإذا كان المسئولون عن التليفزيون العربي قد أقدموا على إنشاء العديد من الفرق المسرحية والاستعراضية العربيـــة للمساهمة في ملء ساعات الإرسال بإنتاج عربي صميم ، فإنهم مع الأسف لم يهتموا بالكيف اهتمامهم بالكم ولذلك اتسمت معظم برامج هذه الفرق بالسطحية والتفاهة وإهدار القيم الفنية ، بل وعدم مسايرة القيم الاجتماعية الجديدة بصفة عامة .

كما يخشى أن إهتمام التليفزيون العربي المبالغ فيه بمباريات كرة القدم واستقدام الفرق الأجنبية قد صرف جزءاً من الجمهور عن المتابعة اليومية الواعية للمشكلات الرئيسيه التي تواجه مجتمعنا الاشتراكي النامي، وعن التقدير السليم للجهود العظيمة التي تبذلها الدولة في هذا الشأن ، إلى مناقشة مستوى الفرق اللاعبة ومشكلات المحافظة على لياقة اللاعب وتتبع سير نجوم الكرة والتحيز لهذا الفريق أو ذاك تحيزا أعمى مما يعكس آثارا ضارة على التربية السياسية للجماهير التي تستهدف تعويد الجماهير على استخدام العقل لا على الانسياق وراء الإثارة الرخيصة .

ففي الوقت الذي استطاع التليفزيون العربي - تشاركه في ذلك الصحافة - أن يجذب اهتمام الجماهير الشعبية - إلى درجة الهوس - أحيانا - بمباريات كرة القدم ، لم يبذل جهداً مماثلا لإشاعة الوعي السياسي والاجتماعي بين الطبقات الشعبية العريضة من العمال والفلاحين وصغار الموظفين واقتصرت برامجه - بصفة عامة - على الترفيه عن الطبقة المتوسطة وسكان المدن . .

وهذا بيان بأوجه النقد التى وجهت إلى التليفزيون العربى فى سنوات نشأته الأولى نذكرها للدراسة والاسترشاد، مع تقديرنا للجهود الصادقة التى تبذل للقضاء على أسباب هذا النقد والنهوض ببرامج التليفزيون العربى إلى مستوى الرسالة المطلوبة منه فى مرحلة التحول الاشتراكى.

يتلخص هذا النقد الموجه الى التليفزيون العربى فى النقاط التالية :

١ — تعدد القنوات مما يؤدى إلى بلبلة المشاهد وهروبه من البرامج الجادة إلى البرامج الخفيفة، وبذلك يفقد التليفزيون العربى جزءاً هاما من رسالته.

٢ — كثرة ساعات الإرسال مما يؤدى إلى هبوط مستوى البرامج .

٣ — الاستعانة بقدر كبير من السلاسل والأفلام المحلية والأجنبية التى يدور معظمها حول الجريمة، والتى تزخر بمشاهد العنف. وقد بينا فيما سبق مدى خطورة هذه البرامج على الاطفال والشباب .

٤ — يلاحظ أن عددا من السلاسل والأفلام الأجنبية التى تعرض يخرج عن مفهوم سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز التى تلتزم بها الدولة فى سياستها الخارجية .

٥ — إهمال الريف إهمالا يكاد يكون تاما واظهار الفلاح فى بعض البرامج الترفيهية بمظهر يسىء إلى كرامته، ولا يتفق مع القيم الاجتماعية الجديدة .

٦ — عدم مراعاة القيم الاشتراكية الجديدة فيما يقدم من برامج ومسرحيات، وأفلام أو تقديمها بصورة مشوهة فجة .

٧ — سيطرة عقلية الطبقة المتوسطة على كل مايقدم من برامج. ويتضح هذا بصفة خاصة فى برامج الاطفال والبرامج النسائية .

٨ — انعدام التناسق والتوازن بين البرامج .

٩ — إحتكار طائفة محدودة من الفنانين والمتحدثين للبرامج .

١٠ — عدم العناية الكافية بمتابعة الإنجازات الثورية العظيمة فى ميدان التشييد والانتاج ، وما تدخله على حياة الجماهير من تغييرات وتطويرات جوهرية .

١١ — الإهمال لمشكلات الشباب وأخباره ونشاطه والقصور فى توجيهه فكريا وسياسيا وفى مزجة على إختلاف طبقاته فى بوتقه طليعية واحدة .

ومع ذلك فلا بد وأن ننوه ببعض الجهود الفردية التى يقوم بها بعض مقدمى البرامج التليفزيونية سواء للمساهمة فى حل مشكلات المجتمع وطرحها على بساط البحث ، أو لتعميق المفاهيم والقيم الاشتراكية الجديدة وهى جهود مبشرة باتجاهات التطور فى التليفزيون العربى وهو التطور الذى اتخذ شعارا له : **«ضرورة نزول الكاميرا وأجهزة التسجيل الى الشعب فى كل مكان على أرض الجمهورية»** .

وإذا كنا قد أمعنا فى تبيان المآخذ التى أخذت على التليفزيون العربى فى سنوات انشائه الأولى ، فما ذلك إلا لإيماننا بالدور الأساسى الذى يجب أن يساهم به هذا الجهاز الإعلامى الخطير فى بناء مجتمعنا الجديد ، وهو الدور الذى يبرر سخاء الدولة فى إنفاق ملايين الجنيهات عليه ، علما منها بالامكانيات البعيدة التى يستطيع هذا الجهاز فى ظل قيادة فكرية واعية أن يحققها .

والأمر الذى لاشك فيه أن إيجاد هـــذه القيادة الفكرية الواعية على رؤوس الأجهزة التنفيذية والفنية فى التليفزيون العربى هو الهدف الذى يشغل بال المسئولين عن التليفزيون العربى وعن أمانة الدعوة والفكر الاشتراكى بالاتحاد الاشتراكى العربى فى المرحلة الحاضرة خاصة والدولة فى سبيلها إلى توفير أجهزة التليفزيون العادية أو الترانزستور لمراكز المشاهدة الجماعية بكافة مدن الجمهورية وقراها .

الفصل العاشر

المسرح



المســـرح

نشأة المسرح وتطوره :

يذهب مؤرخو المسرح إلى حد القول بأن الفن المسرحى فن غريزى إرتبط بمظاهر الحياة الإنسانية منذ وجد الإنسان على الأرض . فالمسرح فن بدائى عالمى تمثل أول ما تمثل فى طقوس الرقص السحرى التقليدى الذى لا يزال يؤديه البدائيون حتى فى أيامنا هذه جلباً للخير أو دفعاً للشر [1] .

فقد كانت الحركات الإيقاعية الرتيبة وسيلة التعبير الشائعة عن أعمق مشاعر الإنسان البدائى. كان الإنسان البدائى يرقص بدافع المسرة . ولكون الرقص طقساً دينياً فهو يتحدث إلى آلهته بلغة الرقص ، ويصلى لهم بنفس اللغة ، ويشكرهم ويثنى عليهم بحركاته الراقصة . وهذه الحركات المحـــددة الأهداف هى التى انطوت على نواة المسرحية وبذرة المسرح [2] .

ولعل أقدم مسرحية عرفها العالم كانت المسرحية التى كان يقوم بتمثيلها كهنة أبيـــدوس سنوياً والتى كانت تصور مقتل الإله المصرى أوزيريس وبعثه. على أن فن المسرح فى مصر القديمة ظل - فيما يبدو - فناً دينياً خالصاً يحتكره الكهنة داخل المعابد . . . ويعود الفضل فى تطور المسرح - لكى يصبح فناً إنسانياً واجتماعياً - إلى طبيعة العقلية اليونانية والديانة الإغريقية

---

(١) ر. بينار — تاريخ المسرح — الفصل الأول . ترجمة أحمد كمال يونس — مجموعة الألف كتاب رقم ٣٩٤ .

(٢) شلدون تشينى — تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنه — الفصل الثانى — ترجمة درينى خشبة — الدار المصرية .

التى كانت – على النقيض من الديانة المصرية القديمة — لا تقيم هوة سحيقة بين عالم الآلهة وعالم الإنسان . فقد كان المصريون القدماء يتصورون آلهتهم كقوى خارجة عن مجال الحياة الإنسانية مسيطرة على تلك الحياة . أما الاغريقى القديم فكان يتصور آلهته على شاكلة الانسان لهم : كافة خصائص الانسان وما فيه من فضائل ورذائل وعواطف ومشاعر ونزعات . ولذلك فقد استطاع المسرح الاغريقى شيئاً فشيئاً أن يتخلص من دائرة الدين الضيقة ، وأن يدلف إلى حياة الانسان والمجتمع[١] .

المسرح والرأى العام :

إن استعراض تاريخ المسرح منذ نشأته حتى يومنا هذا يؤكد أن الفن المسرحى فى جوهره تعبير عن الرأى العام أو محاولة للتأثير فيه وتوجيهه .

ولقد واجه الكتاب المسرحيون منذ أقدم العصور ألواناً كثيرة من الصعاب بل والاضطهاد أحياناً فى سبيل إبلاغ رسالتهم التى يؤمنون بها إلى الجماهير .

ويقص علينا التاريخ كيف أثار الشاعر المسرحى الأثينى معبود الجماهير يوربيدز مشاعر جمهور أثينا حين ناقش الآلهة الحساب فى مسرحياته، وحين صور مأساة الحرب وأهوالها ، وحين ناضل فى سبيل البائسين والمنكوبين والمهزومين فى معارك الحياة إلى أن انتهى المطاف به بصدور الأمر بنفيه من أثينا[٢] .

ويذهب بعض الكتاب إلى حد القول بأن المسرحية الكوميدية الاغريقية كانت تحل محل الصحافة الآن فى عرضها لأوجه الحياة العامة

(١) محمد مندور — المسرح — دار المعارف ١٩٦٣ .

(٢) شلدون تشينى — المرجع السابق ص ٨٤ .

وفى عدم مراعاتها لأحد ، وفى سخريتها حتى من الآلهة وإظهارها فى صورة كاريكاتيرية ساخرة ، وفى تسميتها للأشخاص والأشياء بأسمائها . ويؤكد ر. بينار فى كتابه تاريخ المسرح أن القصة المسرحية عند الاغريق لم تكن إلا حجة، وأن الممثل الوحيد كان الشعب الأثينى نفسه .

وحقاً لقد هاجم كتاب الكوميديا الاغريق كثيراً من نواحى الحياة فى أثينا . وتصور مسرحية الزنابير لأرستوفان مدى ما وصلوا إليه فى هذا الهجوم ، فقد كانت المادة المباشرة التى عالجها ارستوفان فى تلك المسرحية هى نظام المحلفين القضائى فى أثينا، إلا أنه كان يتوجه بهجومه فيها أساساً إلى كليون الزعيم الشعبى الديماجوج الذى كان المحلفون مرتبطين به سياسياً .

بل لقد تطرق أرستوفان بأسلوبه الساخر ودهائه العظيم إلى مهاجمة فكرة الحرب ذاتها فى مسرحيته المسماة « ليزستراتا » .

فن الكوميديا والصحافة :

والواقع أن فن الكوميديا بصفة خاصة قد ظل منذ نشأته الأولى على يد أريستوفان حتى اليوم مرآة لحياة المجتمعات ، معبراً عن تيارات الرأى العام فيها .

ذلك أن الكوميديا تستمد موضوعاتها ومضموناتها وشخصياتها من واقع الحياة الاجتماعية المعاصرة ، كوسيلة للكشف عما فيها من عيوب ومفاسد ونقدها [1] . وهى فى هذا قريبة الشبه بالصحافة .

فالضحك ليس مجرد تسلية أو ترويح أو تنفيس ، بل هو - كما يقول الدكتور محمد مندور - عقوبة اجتماعية صارمة يوقعها المجتمع بواسطة رواد المسرح على كل من ينحرف عن مثل المجتمع العليا وأوضاعه السليمة

(١) محمد مندور : المسرح فى عهد الثورة ـ حاضره ومستقبله (مجلة المجلة العدد ٩١ يوليو ١٩٦٤)

فى أخلاقياته الشخصية والاجتماعية . ويستطرد الدكتور مندور قائلا : «ومن هنا تأتى خطورة الكوميديا والوظيفة الاجتماعية الكبيرة التى تستطيع أن تنهض بها ، بل إننا لنذكر أن القرن الثامن عشر الذى قام فيه مثقفوا الطبقة الوسطى فى فرنسا بعملية التمهيد النفسى والاجتماعى الواسعة للثورة الكبرى التى اندلعت عام ١٧٨٩ ، كان فن التراجيديا قد اختفى منه تماما ، بينما نهض فن الكوميديا بعبء التمهيد لتلك الثورة عن طريق السخرية المرة العنيفة من استبداد وغطرسة وظلم واستهتار الطبقة الارستقراطية الباغية على نحو ما نشاهد مثلا فى ثلاثية كاتب الكوميديا الثائر الكبير بومارشيه وهى « حلاق اشبيلية » و « زواج فيجارو » و « الأم الآثمة » حيث اتخذ لهذه الثلاثية بطلا واحداً من أبناء الشعب الثائرين هو فيجارو الذى عمل حلاقاً فى المسرحية الأولى وخادماً فى المسرحيتين التاليتين، وجاهر فى المسرحيات الثلاثة بتهكمه وسخريته العنيفة بأبناء الطبقة الأرستقراطية وفضح مخازيهم مما أثار الملك لويس السادس عشر وحاشيته ضد المؤلف ثورة عاتية بلغت حد إيقاف عرض مسرحيته « زواج فيجارو » وزج بالمؤلف فى سجن الباستيل أربع سنوات اضطر الملك بعدها إلى الافراج عنه تحت ضغط المد الثورى الصاعد » .

فالمسرح إذن مرتبط بالرأى العام منذ أقدم العصور . وقد دعا هذا بعض النقاد إلى القول بأن الفن المسرحى فى جوهره تعبير عن روح الأمة أو بعبارة أخرى انعكاس للتيارات والأفكار الممثلة للرأى العام ، ومحاولة للتأثير فى هذا الرأى العام وتوجيهه ، سواء أكان ذلك التوجيه توجيهاً سلبياً هدفه صرف الناس عن متابعة المشكلات والقضايا الهامة أو الانحراف بتفكيرهم تجاهها ، أم إيجابياً يستهدف لفت أنظارهم إليها ودفعهم إلى الحركة والتغيير .

النهضات القومية والنهضات المسرحية :

بل إن بعض الكتاب يربط بين النهضات المسرحية الكبرى وبين نمو الشعور العام بالعزة القومية ، واعتداد الرأى العام بالمكاسب الكبيرة التى حققتها الأمة . فالمسرح العظيم - فى رأى الدكتور على الراعى مثلا - هو المسرح الذى يستهدف تصوير الأمة كلها، وإعطاء روح الأمة التعبير الدرامى الجميل. فمن شأن هذا الامتداد وتلك السعة أن يضمنا للعمل الفنى البقاء لأنهما تضمنان له أن يصور ويخلد أقوى تيارات المجتمع [1] .

ويسوق الدكتور الراعى أمثلة تؤيد ارتباط ازدهار الفن المسرحى بفترات اليقظة القومية عند الأمم المختلفة على مر العصور ، فيتحدث عن نهضة المسرح فى عهد بركليس فى أثينا القديمة على أثر انتصار اليونان على جحافل الفرس الغازية حيث ظهر فى أعقاب هذا الانتصار عمالقة التراجيديا الثلاث اسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدس، ثم عن نهضة المسرح الإنجليزى عقب انتصار الأسطول البريطانى فى عهد الملكة اليزابث على أسطول الأرمادا الأسبانى الذى لا يقهر، وبذلك حقق البحارة الإنجليز لبلادهم نصراً كبيراً وحموها من الدمار، وأتاحوا لها الفرصة كى تنمو وتتطور، وألهبوا فيها شعور الفخر والاعتداد بالقومية والوطن مما انعكس أثره فى مسرح شكسبير العظيم الذى جعـــل من عديد من مسرحياته ما يشبه النصب التذكارية لبلاده وانتصاراتها .

وفى ظروف مماثلة من اليقظة والشعور بالعزة القومية ظهر مسرح موليير فى فرنسا فى عهد لويس الرابع عشر .

---

(١) على الراعى : « لماذا تقوم النهضات المسرحية ولماذا تختفى » (مجلة «المجلة» العدد الثلاثون يونية ١٩٥٩) .

فالمسرح - إذن - هو صوت الرأى العام الواعى ، وهو بحق انعكاس روح الأمة فى عقل الفنان . والفنان هنا فنان وزعيم فى وقت واحد .

ونعود لمقال الدكتور الراعى لننقل عنه الفقرات التالية عن المسرح المعــــاصر منذ أقامه الكاتب النرويجى الكبير ابسن ، وذلك لما فى هذه الفقرات من تأكيد للصلة القوية التى بين المسرح والرأى العام وتبيان للتفاعل المتبادل بينهما : —

يقول الدكتور على الراعى: «على أيام إبسن أخذت مفهومات الطبقة الوسطى وقيمها تهتز تحت وطأة أحداث جسام كانت تتعاقب على العالم على مر السنين : أحداث مثل الثورة الصناعية واكتشافات داروين وتطورات أخرى كثيرة فى ميدانى الاقتصاد والدين ، وتقلبات فى المفهومات السياسية وأنظمة الحكم. وكان أن انعكس هذا كله على المسرح ووجد لنفسه تربة خصبة فى عقل النرويجى العظيم وروحه ، فأخذ هذا يكتب للمسرح ليناقش موقف الفرد من المجتمع رجلا كان هذا الفرد أم امرأة ، وأخذ يبحث فى مسرحياته عن علاقة الفرد الممتاز بالجماهير وعلاقة المثال بالواقع ، وفائدة المثال للفرد ، ومايجلبه عليه أحياناً من شر... إلى آخر مشكلات مسرحيات إبسن ، فهزت هذه المسرحيات المجتمع من قواعده ، وامتد تأثيرها فالتحمت بتيارات مسرحية ثورية كان برناردشو فى انجلترا يتهيأ لاستخدامها . وحدث نفس الشىء فى روسيا حيث قام تشيخوف فقدم فى مسرحياته أعذب وأرق وأوعى ما ظهر من نقد المجتمع فى المسرح الروسى ، وكان ذلك فى مآسيه الأربع الكبرى . وعلى أيدى هؤلاء الثلاثة العظام ، مضافاً إليهم عظيم آخر هو ستريندبرج ، قامت نهضة مسرحية كبرى . . . . » .

وظيفة المسرح فى عالمنا المعاصر :

وإذا كان المسرح قد ساهم مساهمة فعالة فى كثير من عمليات التمهيد الفكرى للتغيير الاجتماعى والسياسى فى مجتمعنا الدولى الحديث ، فمن الطبيعى أن يكون موضع عناية خاصة من جانب أنظمة الحكم القائمة سواء منها الأنظمة الثورية التى ترمى إلى تعميق مفاهيم الثورة فى نفوس الجماهير أو الأنظمة الرجعية التى تخشى من تسرب مثل هذه المفهومات إلى الجماهير مما قد يفسد عليها توجيهاتها المرسومة للرأى العام فى بلادها .

ويتضح هذا بصفة خاصة من المقارنة بين وضع المسرح ووظيفته اليوم فى البلدان الاشتراكية ، ووضعه ووظيفته فى البلدان الرأسمالية .

فبينما يساهم المسرح فى البلدان الاشتراكية فى البناء الاشتراكى للمجتمع ، ويروج للمثل والقيم الإنسانية الجديدة ، ويشيع العزم والتفاؤل فى النفوس ، نرى المسرح الأوربى والأمريكى يتخبط فى متاهة اليأس والحيرة والغضب والضياع ، كما هو واضح فى مسرح الغضب ومسرح العبث أو اللامعقول ، وهذا انعكاس طبيعى للأزمة النفسية والخلقية التى تعانيها الشعوب الرازحة تحت قبضة النظم الرأسمالية الاحتكارية الاستعمارية اليوم نتيجة للأوضاع الغير عادلة التى يطلب منها تأييدها باسم الوطنية أو الدين ونتيجة لضياع القيادة الثورية وتشتتها فى تلك البلدان .

ومن الأمور ذات المغزى البعيد ما يكاد يجمع عليه النقاد المسرحيون من أن ظهور مسرح الغضب ورواجه فى انجلترا إنما كان رد فعل مباشر لغضب الرأى العام البريطانى ، وشعوره بالخزى والعار بعد معركة السويس عام ١٩٥٦ تلك المعركة التى لم يكن لها أى سند من العدل أو الشرف . . .

ومع ذلك فمسرح الغضب لا يعكس ســـوى غضب الشعب البريطانى من الماضى، ويأسه من المستقبل. ولا يمكن بهذا الوضع أن نعتبره قوة دافعة للرأى العام نحو الثورة أو التغيير .

نشأة المسرح المصرى وارتباطه بالرأى العام :

ارتبط المسرح العربى فى مصر منذ نشأته الأولى عام ١٨٧٠ على يد يعقوب بن صنوع «أبو نظارة» بالرأى العام. ولا عجب فى ذلك فقد سبق المسرح العربى ظهور الصحافة الشعبية نفسها .

ولقد عالج ابن صنوع فى مسرحياته ـ التى كان يستهدف بها التأثير فى الرأى العام المصرى المعاصر له ـ كثيراً من العيوب الاجتماعية كتعدد الزوجات وتحكم التقاليد البالية ، وتدهور القيم الخلقية . ولم يكتف بذلك بل ضمن مسرحياته كثيراً من النقد اللاذع ـ الواضح أحياناً والمستتر أحياناً أخرى ـ للجاليات الأجنبية ، حتى لقد أظهر رجلا سماه جون بول على المسرح ، ونقد الإنجليز فى شخصه ، كما نقد الخديو إسماعيل نفسه وحاشيته . . .

وظل يعقوب بن صنوع سنتين كاملتين يعرض ـ من خلال مسرحياته ـ آمال الشعب المصرى وآلامه ، ويفتح أعين الشعب على ما يكبل به نفسه من تقاليد بالية ، وعلى المظالم التى يتعرض لها من حكامه الطغاة ، ويوضح له الطريق إلى الخلاص .

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يضيق الخديو إسماعيل بابن صنوع ومسرحه فيغلقه إلى غير رجعة . وينصرف ابن صنوع بنفس الروح الثائرة القائدة إلى العمل الصحفى، رائداً من رواد الصحافة الشعبية الحقيقية ، مخلصاً لرسالته حتى فى المنفى الذى اضطره إليه طغيان اسماعيل . . .

وقد أسهم المسرح المصرى أثناء الاحتلال البريطانى لمصر فى رفع الروح المعنوية لدى الشعب، وإيقاظ روح المقاومة بين صفوفه .

ومن الواضح أن رجال السياسة ـ يشاركهم فى ذلك رجال الفن والأدب ـ كانوا يدركون تمام الإدراك الدور الذى يمكن أن يؤديه المسرح فى تجميع الرأى العام وإيقاظه، وحثه على الثورة واستخلاص حقوق البلاد . . .

بل لقد كتب الزعيم مصطفى كامل عام ١٨٩٣ مسرحية بعنوان « فتح الأندلس » ليذكى بها الروح القومية .

وبعد وفاة مصطفى كامل واصل الزعيم محمد فريد تشجيع المسرح ، وحضر بنفسه مسرحية شهداء الوطنية التى قدمها جوق عبد الله عكاشة ، وهى مسرحية وطنية حماسية معربة[1] .

أما الزعيم سعد زغلول فقد طلب من الأستاذ جورج أبيض أن يعنى بالتمثيل العربى بدلا من التمثيل باللغة الفرنسية. وفعلا لبى جورج أبيض طلب سعد زغلول ـ وكان يومها ناظراً للمعارف ـ وألف فرقته المشهورة عام ١٩١٢ ومما يذكر أن الفرقة استهلت نشاطها بمسرحية شعرية عنوانها « جريح بيروت » كتبها الشاعر الكبير حافظ ابراهيم .

وفى مجال الحديث عن المسرح المصرى ودوره فى تعبئة الرأى العام والتعبير عنه لا بد من أن نشيد بجهود الفنان المصرى الخالد الشيخ سيد درويش الذى أقلق مضجع الاستعمار والرجعية بألحانه المسرحية الخالدة التى سرت بين أبناء الشعب وطوائفه سريان الروح فى الجسد والتى كانت بحق تعبيراً عن روح جيل ثورة ١٩١٩ .

---

(١) فؤاد رشيد : المسرح العربى .

المسرح المصرى وثورة ٢٣ يوليو :

اهتمت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اهتماماً كبيراً جداً بتشجيع الفنون المسرحية المختلفة ، وإعداد الفنانين وإنشاء الفرق المسرحية .

ففى عهد الثورة أعيد إنشاء معهد التمثيل على أسس جديدة باسم المعهد العالى للفنون المسرحية ، كما أنشئ معهد للسينما وآخر للباليه وثالث للموسيقى .

وفى الوقت نفسه أنشئ عديد من الفرق المسرحية والاستعراضية كالفرقة القومية للفنون الشعبية ومسرح العرائس ومسرح الأطفال ومسرح الحكيم والمسرح الكوميدى والمسرح العالمى والمسرح الحديث ومسرح الجيب والسيرك القومى . هذا بالإضافة إلى دعم المسرح القومى وإعانة الفرق المسرحية الأهلية ، واستقدام الخبراء والفرق المسرحية الأجنبية لربط الحركة المسرحية فى بلادنا بالحركة المسرحية العالميـــة والاستفادة من تجارب الآخرين . والأمر الذى لا شك فيه أن إنشاء التليفزيون العربى عام ١٩٦٠ قد أسهم إسهاما فعالا فى الحركة المسرحية فى بلادنا ، وفى زيادة الوعى العام بدور المسرح وزيادة إحساس الجماهير بوجوده . . .

وإذا كان إنشاء التليفزيون ومتطلبات ساعات إرساله الطويلة قد أدت إلى الاهتمام بالكم على حساب الكيف ، فمما لا شك فيه أن هناك بادرة تلوح فى الفترة الأخيرة نحو الاهتمام بالكيف أيضاً ، حتى لا يستغل الاهتمام بالكم لاستمرار التأكيد على القيم القديمة التى ينبذها مجتمعنا الجديد . .

مستقبل المسرح المصرى :

والحقيقة أن المسرح العربى فى وضعه الحالى انعكاس صادق للتيارات والاتجاهات المختلفة التى لا بد من أن تزخر بها فترة الانتقال والتغيير الاشتراكى . . .

هذه التيارات التى تمثل الصراع بين القيم القديمة والقيم الجديدة أو بمعنى آخر بين القوى الفكرية الرجعية والقوى الفكرية التقدمية ، فالأولى ما زالت تحاول يائسة متخفية أن تجذب الجماهير إليها وتوقف من اندفاعها التقدمى، والثانية تجاهد صادقة لغرس بذور العلاقات والقيم الإنسانية الجديدة فى مجتمعنا النامى .

وإذا كان المسرح ـ بحكم تفاعله الحى المباشر مع الجماهير ـ أداة هامة من أدوات التأثير فى الرأى العام، فإن أملنا كبير فى أن تزداد العناية بالأجهزة المشرفة على توجيه المسرح فى بلادنا، حتى لا تتسلل القيم الرجعية إليه باسم العمل الفنى ، كما أننا نؤيد بقوة الدعوة إلى أن تقدم الدولة على دعم الفرق المسرحية الإقليمية ومدها بالعناصر الصالحة ، حتى لا يتركز دور المسرح وفعاليته فى العاصمة وحدها أو فى المدن الكبرى فقط، خاصة وقد ثبت أن استجابة جماهير الفلاحين فى بلادنا للمسرح استجابة كبيرة، وأنهم يفضلونه على السينما لأنه أقرب إلى نفوسهم وطبيعتهم .

ولا شك أن مسرح العرائس ـ بصفة خاصة ـ يمكن أن يقوم بدور هام فى إشاعة الوعى السياسى والاجتماعى لدى جماهير الشعب فى الاحياء الشعبية والمدن الصغيرة والقرى والمصانع . كما يستطيع المسرح المدرسى أن يلعب دورا هاما فى هذا الشأن .

وبعد ، فإذا كان المسرح فى الداخل هو مرآة لحياتنا وأفكارنا ، فإن المسرح فى الخارج هو رسول ثقافتنا وعنوان نهضتنا وتقدمنا . ولذلك فإن الأمل معقود على زيادة الاهتمام فى بلادنا بإعداد الفرق المسرحية والفنيـــة ذات المستوى العالمى للمساهمة فى عرض فنوننا فى الخارج وتمثيلنا فى المهرجانات الإقليمية والعالمية . فبلادنا التى تؤمن بالإنسان وبالسلام العالمى والتقدم لا بد وأن تعرض على الرأى العام العالمى ثمرات هذا الإيمان بالإنسان والتقدم والسلام . .

الفصل الحادي عشر

أجهزة الإعلام ومسئولياتها في بلادنا



أجهزة الإعلام ومسئولياتها في بلادنا

فى ختام هـذا الـكتاب رأينا من المفيد أن نجمع - فى فصل مستقل - المقترحات والتوصيات التى تقدمنا بها فى الفصول السابقة فى ضوء الدراسة التى قمنا بها لأجهزة الاعلام المختلفة فى العالم وفى بلادنا ، والتى سعينا من خلالها إلى تحديد مهمة الاعلام ووظيفته على المستوى العالمى والقومى .

والواقع أن بحوث هـذا الـكتاب تشير كلها إلى أن المهمة الأساسية للاعلام وأجهزته فى بلادنا فى المرحلة الحالية ينبغى أن تتركز فى المساهمة الايجابية فى عملية التحول إلى الاشتراكية . فاذا كانت الدولة تعمل جاهدة على توفير الامكانيات المادية اللازمة لتحقيق هـذا التحول ، فان على أجهزة الاعلام - بالتعاون الوطيد مع الاتحاد الاشتراكى العربى - أن تعمل على توفير الامكانيات العقلية والنفسية والسلوكية اللازمة لدعم هـذا التحول وحمايته .

وفى ضوء هـذا التحديد لمهمة الاعلام فى بلادنا ، ووظيفته فى المرحلة التاريخية الحالية التى تمر بها ، حددنا - فى الفصل الأول من هذا الـكتاب - المهمة الأساسية للصحافة فى بلادنا فى المرحلة الحالية بأنها خلق العامل الثورى والفلاح الثورى والجندى الثورى والطالب والموظف والمثقف الثورى .

وتحقيقاً لهذا الهدف : طالبنا بضرورة تحول ملـكية الاتحاد الاشتراكى للمؤسسات الصحفية إلى ملـكية شاملة وإيجابية يتحقق له بموجبها الاشراف المباشر والـكامل على توجيه سياسة الصحف والمطبوعات الصادرة عنها

واختيار المسئولين عن الادارة وعن التحرير . والسبيل إلى ذلك هو أن تصدر هذه الصحف والمطبوعات عن التنظيمات الجماهيرية للاتحاد الاشتراكي نفسه ، وعن أماناته المختلفة . أما مجالس الإدارات الحالية للمؤسسات الصحفية ودور النشر المختلفة فينبغي أن يقتصر عملها على الناحية الإدارية البحته دون تدخل فى التحرير أو التوجيه أو فى اختيار الأشخاص الذين يوكل إليهم أمرها، ودون أن يكون دافع الربح هو العامل الأساسى المسيطر على المسئولين عن المؤسسات الصحفية .

كما طالبنا بضرورة المبادرة إلى تطهير الميدان الصحفي والاعلامى تطهيراً شاملا من العناصر الرجعية المعادية لنظامنا الاشتراكية ومن العناصر المعروفة بمالأتها للاستعمار القديم والجديد ، وبأن تصدر صحف الهيئات والمؤسسات والمصالح والوزارات والمعاهد الدراسية على اختلاف درجاتها عن لجان الاتحاد الاشتراكي ووحداته التى تنتظم جموع العاملين والأعضاء فى تلك الجهات ، مع توفير الحصانة الكاملة لهيئات التحرير كى تمارس عملية النقد ـ والنقد الذاتى البناء ـ دون تعرض لبطش الرؤساء وتوجيهاتهم وخاصة المنحرفين منهم .

وفى مجال إعداد صحفيي المستقبل ، طالبنا بضرورة تدعيم قسم الصحافة بجامعة القاهرة ، وتحويله إلى كلية مستقلة للاعلام ، تقوم بالإعداد السليم سياسياً ومهنياً للعاملين مستقبلا فى شتى فروع الاعلام ، مع عدم السماح لأية جهة أجنبية ـ وخاصة الجامعات ـ بالتدخل فى إعداد هؤلاء العاملين أو تدريبهم ، وخاصة فى مرحلة الدراسة الجامعية الأولى ، وذلك للصلة الوثيقة بين إعداد رجل الاعلام وتوجيه الرأى العام . .

ودعونا فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ـ وهو الخاص بوكالات الأنباء ـ بضرورة تعديل قانون إنشاء وكالة أنباء الشرق الأوسط، بحيث تحتكر تلقى

الأنباء الخارجية الواردة عن وكالات الأنباء الأجنبية ، وتوزيعها على أجهزة الاعلام المحلية المختلفة ، بعد استبعاد الأنباء الظاهر زيفها ، أو غير الموثوق فيها ، أو التي تستهدف تحقيق رد فعل معين في الرأى العام لا يخدم سوى مصالح الاستعمار والرجعية ، وذلك حماية للرأى العام المحلى ، خاصة وقد أثبتت الأحداث تحيز وكالات الأنباء العالمية وعدم حيدتها .

كما طالبنا بامتداد نشاط الوكالة الى الريف تنشيطا للصحافة الاقليمية وإظهارا للاتجاهات المتصارعة فيه وتحقيقا لعامل السرعة فى الكشف عن مؤامرات الرجعية ضد مكاسب الفلاحين الثورية ودعما للرقابة الشعبية على أجهزة السلطة التنفيذية .

وطالبنا فى الفصل الخاص بالإذاعة باعادة النظر فى استمرار عمل محطة الشرق الأوسط لما تحدثه من بلبلة بالنسبة لجمهورنا المحلى باعلانها عن سلع لا يسمح تخطيطنا الاشتراكى بتوفيرها محلياً فى المرحلة الحالية ، فضلا عما تؤدى إليه برامجها الترفيهية الخالصة من صرف جمهور المستمعين فى الداخل وفى البلاد العربية عن متابعة المواد الثقافية الأكثر دسامة ومواد التوعية التى تحتل مكانا هاما فى برامج إذاعتى البرنامج العام وصوت العرب .

وفى الفصل الثامن الذى خصصناه للحديث عن السينما المصرية نادينا بضرورة مساهمة السينما المصرية فى إبراز المنجزات والمكاسب الثورية العظيمة التى تتم كل يوم فى بلادنا ، والقيام بدور فعال فى تدعيم القيم الاشتراكية لمجتمعنا الجديد وتعميقها فى نفوس الجماهير . كما دعونا إلى تضافر جهود العاملين فى كافة ميادين الاعلام - من إذاعة وسينما وصحافة ومسرح وتليفزيون - للعمل على إعادة تشكيل أذواق جماهيرنا الفنية وقيمها

الاجتماعية، والارتفاع بمستوياتها الثقافية التى أفسدتها الأفلام الأمريكية والأفلام المقلدة لها بتركيزها على الجنس والجريمة وحياة الدعة والأحلام.

وأكدنا أهمية عناية السينما المصرية بإنتاج الأفلام التى تؤكد رابطة الكفاح المشترك والمصير المشترك للشعوب العربية وخاصة، الأفلام التاريخية التى تكشف ألاعيب الاستعمار وعملائه وعبثهم بمقدرات هذه الشعوب وآمالها . .

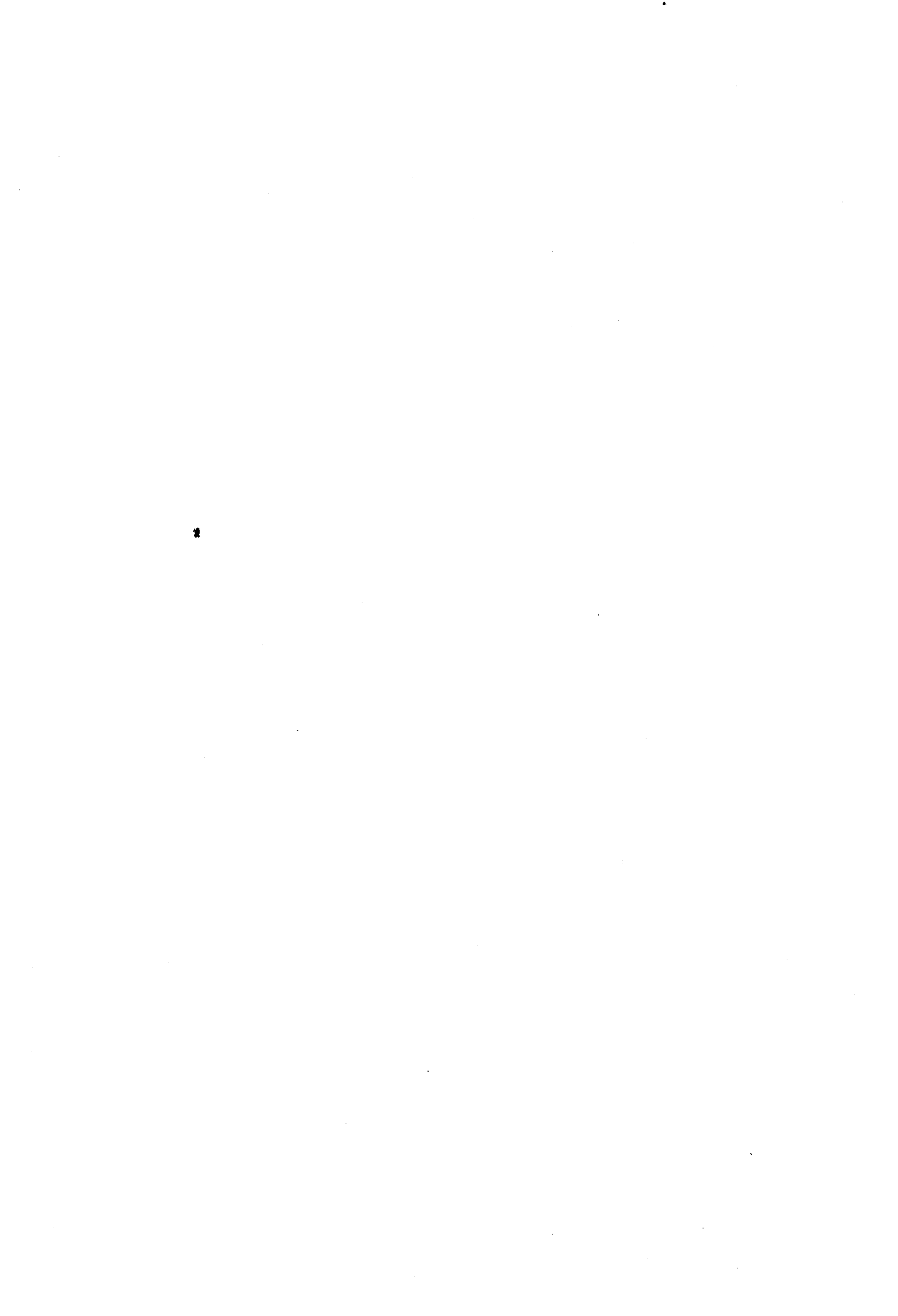
كما دعونا إلى زيادة العناية بالأفلام التسجيلية وبالجريدة السينمائية المصرية موضوعياً وفنياً ، لكى تصبح بحق نافذة حية تتابع الشعوب العربية من خلالها الانجازات التى تتم فى بلادنا وثمرات الاشتراكية التى غرسناها فى تربتنا ، ووجهة النظر الصادقة بالنسبة للقضايا الأساسية التى تهم كافة هذه الشعوب .

وقد عرضنا فى الفصل التاسع لأوجه النقد الموجهة للتليفزيون العربى الناشئ، وطالبنا بتضافر جهود المسئولين عن هذا الجهاز الاعلامى الخطير مع جهود أمانة الدعوة والفكر الاشتراكى لتطوير برامجه بما يتفق مع مقتضيات مرحلة التحول الاشتراكى ، على اعتبار أن التليفزيون أداة هامة من أدوات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وجهاز لا يعدله أى جهاز آخر فى توعية الجماهير وتوجيهها وخاصة فى البلدان النامية . كما أيدنا الاتجاه إلى تعميم مراكز المشاهدة الجماعية فى جميع قرى الجمهورية ومراكز التجمعات الشعبية تحت إشراف رواد من الشباب الاشتراكى الواعى يتولون عقد ندوات حول البرامج الجادة لتعميق المفاهيم والقيم الاشتراكية بين جمهور المشاهدين ..

وانتقلنا فى الفصل العاشر إلى الحديث عن المسرح : فعرضنا للتيارات المختلفة التى تتصارع فى المسرح المصرى فى المرحلة الحالية ، وطالبنا بازدياد العناية باختيار الأجهزة المشرفة على توجيه المسرح ، حتى لا تتسلل إليه القيم الرجعية تحت ستار العمل الفنى . كما أيدنا الدعوة إلى دعم الفرق المسرحية الإقليمية خاصة بعد ما عرف من أن استجابة الجماهير عامة — وجماهير الفلاحين والعمال خاصة — للمسرح بشخوصه الحية وباتصاله الإنسانى المباشر ، أكثر وأبعد أثراً من استجابتها للسينما وحركتها السريعة. وقد أكدنا كذلك أهمية إعداد بعض الفرق المسرحية إعداداً عالمياً كى تكون رسلا لثقافتنا وحياتنا الجديدة فى الخارج ورائدة للفرق الأخرى فى الداخل. كما أوضحنا أهمية الدور الذى يمكن أن يقوم به مسرح العرائس والمسرح المدرسى - بصفة خاصة - فى إشاعة الوعى السياسى والاجتماعى لدى الجماهير الشعبية وجماهير الأطفال والشباب .

هذه خلاصة سريعة للنتائج التى انتهينا إليها من خلال البحوث التى تضمنها هذا الكتاب ، والتى كان من أهم أهدافها تحديد وظيفة أجهزة الاعلام فى بلادنا ومسئولياتها فى مرحلة التحول الاشتراكى .

وليس من شك فى أن هذه النتائج إنما تشير كلها فى النهاية إلى ضرورة إشراف الاتحاد الاشتراكى إشرافاً فعلياً على توجيه سياسة كافة أجهزة الاعلام فى بلادنا وضرورة اضطلاعه بالتخطيط المتتابع لها ، وباختيار الأشخاص الذين يعهد إليهم إدارتها والعمل بها . .



الملاحق



الميثاق الوطني والصحافة

الفقرات الواردة بشأن الصحافة بالميثاق

« إن حرية النقد ضاعت فى هذه الفترة بضياع حرية الصحافة ولم يكن الأمر هو مجرد القوانين الصارمة التى وقفت بالمرصاد لحرية النشر وفرضت بالتشريع محظورات ترتفع على النقد وتوسعت فى هذه المحظورات إلى حد كاد أن يجعل الظلام دامساً وشاملا ..

إنما طبيعة التقدم الآلى فى مهنة الصحافة نفسها أحدثت أثراً لا يقل فى صوره عما أحدثته قوانين القمع والكبت ..

لقد كان من أثر التقدم الآلى فى مهنة الصحافة واحتياجاتها المتزايدة إلى الآلات الحديثة وإلى الكميات الهائلة من الورق أن تحولت هذه المهنة العظيمة من كونها عملية رأى إلى أن أصبحت عملية رأسمالية معقدة.

إن الصحافة فى هذه الفترة ومع هذا التطور لم تكن قادرة على الحياة إلا إذا ساندتها الأحزاب الحاكمة الممثلة لصالح الإقطاع ورأس المال أو إذا اعتمدت اعتماداً كلياً على رأس المال المستغل الذى كان يملك الإعلان بحكم ملكيته للصناعة والتجارة .

إن سلطة الدولة والتشريع استعملت (أولا) فى إخضاع الصحافة المصالح الحاكمة وذلك عن طريق قوانين النشر الظالمة وعن طريق الرقابة التى وقفت سداً حائلا دون الحقيقة .

كذلك تزايد الخطر على ما تبقى من حرية الصحافة (ثانياً) بتزايد احتياجات المهنة نفسها لمعدات التقدم الآلى ولم يعد فى قدرتها إلا أن تخضع

لإرادة رأس المال المستغل وأن تتلقى منه (وليس من جماهير الشعب) وحيها واتجاهاتها السياسية والاجتماعية».

(من الباب الخامس «الديمقراطية السليمة»)

«إن النقد والنقد الذاتى من أهم الضمانات للحرية، ولقد كان أخطر مايعرقل حرية النقد والنقد الذاتى فى المنظمات السياسية هو تسلل العناصر الرجعية إليها.

كذلك فقد كانت سيطرة الرجعية على الصحافة بحكم سيطرتها على المصالح الاقتصادية تسلب حرية الرأى أعظم أدواتها.

إن استبعاد الرجعية يسقط ديكتاتورية الطبقة الواحدة ويفتح الطريق أمام ديمقراطية جميع قوى الشعب الوطنية.

إنه يعطى أوثق الضمانات لحرية الاجتماع وحرية المناقشة.

وكذلك فإن ملكية الشعب للصحافة التى تحققت بفضل قانون تنظيم الصحافة الذى أكد لها فى نفس الوقت إستقلالها عن الأجهزة الإدارية للحكم فقد انتزع للشعب أعظم أدوات حرية الرأى ومكن أقوى الضمانات لقدرتها على النقد.

إن الصحافة بملكية الاتحاد الاشتراكى العربى لها هذا الاتحاد الممثل لقوى الشعب العاملة قد خلصت من تأثير الطبقة الواحدة الحاكمة كذلك خلصت من تحكم رأس المال فيها ومن الرقابة غير المنظورة التى كان يفرضها عليها بقوة تحكمه فى مواردها.

إن الضمان المحقق لحرية الصحافة هو أن تكون الصحافة للشعب لتكون حريتها بدورها إمتداد لحرية الشعب».

(من الباب الخامس)

« إن الكلمة الحرة ضوء كشاف أمام الديمقراطية السليمة و بنفس المقدار فإن القضاء الحر ضمان نهائى وحاسم لحدودها.

إن حرية الكلمة هى المقدمة الأولى للديمقراطية .

وسيادة القانون هى الضمان الأخير لها .

وحرية الكلمة هى التعبير عن الفكر فى أى صورة من صوره .

كذلك فإن حرية الصحافة وهى أبرز مظاهر حرية الكلمة يجب أن تتوافر لها كل الضمانات .

إن الديمقراطية السليمة بمفهومها العميق تزيل التناقض بين الشعب وبين الحكومة حين تحولها إلى أداة شعبية ولكن الصحافة الحرة يجب أن تكون رقيباً أميناً على أداة الإرادة الشعبية شأنها فى ذلك شأن المجالس النيابية » .

(**من الباب السابع « حول الانتاج والمجتمع »**)

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

بالقانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠

بتنظيم الصحافة[1]

باسم الأمة

رئيس الجمهورية

بعد الإطلاع على الدستور المؤقت ،

وعلى المرسوم بقانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ الصادر فى الاقليم المصرى بشأن المطبوعات ،

وعلى المرسوم التشريعى رقم ٥٣ المؤرخ فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٩ الصادر فى الاقليم السورى بتنفيذ قانون المطبوعات العام ،

وعلى القانون رقم ١٩٥ لسنة ١٩٥٨ فى شأن بعض الأحكام الخاصة بتنظيم الصحافة فى الاقليم السورى ،

قرر القانون الآتى :

مادة ١ — لا يجوز إصدار الصحف إلا بترخيص من الاتحاد القومى .

ويقصد بالصحف فى تطبيق أحكام هذا القانون الجرائد والمجلات وسائر المطبوعات التى تصدر باسم واحد بصفة دورية ويستثنى من ذلك المجلات والنشرات التى تصدرها الهيئات العامة والجمعيات العلمية والنقابات . وعلى أصحاب الصحف التى تصدر وقت العمل بهذا القانون أن يحصلوا على ترخيص من الاتحاد القومى خلال ثلاثين يوما من تاريخ العمل بهذا القانون.

(١) الجريدة الرسمية فى ٢٤ مايو سنة ١٩٦٠ — العدد ١١٨

مادة ٢ — لا يجوز العمل فى الصحافة إلا لمن يحصل على ترخيص بذلك من الاتحاد القومى وعلى كل من يعمل بالصحافة وقت صدور هذا القانون الحصول على هذا الترخيص خلال أربعين يوما من تاريخ العمل بهذا القانون .

مادة ٣ — تؤول إلى الاتحاد القومى ملكية الصحف الآتية وجميع ملحقاتها وينقل إليه ما لأصحابها من حقوق وما عليهم من التزامات وذلك مقابل تعويضهم بقيمتها مقدرة وفقا لأحكام هذا القانون :

صحف دار الأهرام .

صحف دار أخبار اليوم .

صحف دار روز اليوسف .

صحف دار الهلال .

ويعتبر من ملحقات الصحف بوجه خاص دور الصحف والآلات والأجهزة المعدة لطبعها أو توزيعها ومؤسسات الطباعة و الاعلان والتوزيع المتصلة بها .

مادة ٤ — تتولى تقدير التعويض المستحق لأصحاب الصحف لجنة تشكل برئاسة مستشار من محكمة الاستئناف ومن عضوين يختار أحدهما مالك الصحيفة ويختار الاتحاد القومى العضو الآخر ويصدر بتشكيل اللجنة قرار من رئيس الجمهورية .

وتصدر اللجنة قراراتها بأغلبية الآراء وبعد سماع أقوال ذوى الشأن ، وتكون قراراتها نهائية غير قابلة للطعن فيها بأى طريق من طرق الطعن .

مادة ٥ — يؤدى التعويض المشار إليه فى المادة السابقة سندات على الدولة بفائدة سعرها ٣٪ تستهلك خلال عشرين سنة .

ويصدر قرار من رئيس الجمهورية بتعيين مواعيد وشروط إستهلاك هذه السندات وشروط تداولها .

مادة ٦ — يشكل الاتحاد القومى مؤسسات خاصة لإدارة الصحف التى يملكها، ويعين لكل مؤسسة مجلس إدارة يتولى مسئولية إدارة صحف المؤسسة.

مادة ٧ — يعين لكل مجلس إدارة رئيس وعضو منتدب أو أكثر ويتولى المجلس نيابة عن الاتحاد القومى مباشرة جميع التصرفات القانونية .

مادة ٨ — لا يجوز للشخص أو الهيئة التى كانت تدير الصحيفة أن تباشر أى عمل فيها كما لا يجوز لأى موظف أن يقوم بأى عمل من الأعمال الداخلة فى إختصاص مجلس الإدارة أو العضو المنتدب إلا بتفويض منه .

مادة ٩ — يجب على كل شخص طبيعى أو اعتبارى يكون مديراً أو مشرفاً أو مودعاً لديه أو حائزاً لأموال أياً كانت مملوكة للصحيفة أو المؤسسات المتصلة بها أو يكون دائناً أو مدينا لها أن يقدم للعضو المنتدب بيانا بذلك مشفوعاً بالمستندات فى ميعاد لا يجاوز ثلاثين يوماً من تاريخ العمل بهذا القانون .

مادة ١٠ — يعتبر باطلا كل تصرف أو إجراء يتم بالمخالفة لأحكام هذا القانون .

مادة ١١ — كل مخالفة لأحكام هذا القانون يعاقب مرتكبها بالحبس مدة لا تجاوز سنة وبغرامة لا تجاوز خمسمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين .

مادة ١٢ — يلغى كل نص يخالف أحكام هذا القانون .

مادة ١٣ — ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ويعمل به فى إقليمى الجمهورية من تاريخ نشره .

صدر برياسة الجمهوريه فى ٢٩ ذى القعدة ١٣٧٩ (٢٤ مايو سنة ١٩٦٠) .

المذكرة الإيضاحية

القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠ الخاص بتنظيم الصحافة

إن ملكية الشعب لوسائل التوجيه الاجتماعى والسياسى أمر لا مناص منه فى مجتمع تحددت صورته باعتباره مجتمعاً ديمقراطياً اشتراكياً تعاونياً بل إن ذلك الوضع يصبح نتيجة منطقية لازمة لقيام اتحاد قومى يوجه العمل الوطنى الإيجابى إلى بناء المجتمع على أساس من سيادة الشعب وتحمله بنفسه مسئوليات العمل لإقامة هذا البناء .

وإذا كان منع سيطرة رأس المال على الحكم من الأهداف الرئيسية الستة للثورة باعتباره أحد الطرق القوية لإقامة ديمقراطية حقة ، فإن هذا يستتبعه بالتالى ألا تكون لرأس المال سيطرة على وسائل التوجيه ، لأن قوة هذه الوسائل وفعاليتها مما لا ينكره أحد ، ووجود أى سيطرة لاتستهدف مصالح الشعب على هذه القوة تستطيع أن تجنح بها إلى إنحرافات قد يكون لها أثرها الخطير على سلامة بناء المجتمع كما أن مجرد وجود مثل هذه السيطرة يشكل تناقضاً كبيراً مع أهداف المجتمع ووسائل بنائه .

وليس هناك من يجادل فى أن ملكية الشعب لأداة التوجيه الأساسية وهى الصحافة ، هى العاصم الوحيد من هذه الانحرافات كما أنها الضمان الثابت لحرية الصحافة الحقيقية بمضمونها الأصيل وهى حق الشعب فى أن يتابع مجريات الحوادث والأفكار وحقه فى إبداء رأيه فيها وتوجيهها بما يتفق وإرادته . وعلى هذا النحو يتحقق للصحافة وضعها فى المجتمع الجديد ، باعتبارها جزءاً من التنظيم الشعبى الذى لا يخضع للجهاز الإدارى وإنما هو

سلطة توجيه ومشاركة فعالة فى بناء المجتمع ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من السلطات الشعبية ، كالمؤتمر العام للاتحاد القومى وكمجلس الأمة .

وكانت هذه هى المعانى التى استوحى منها القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠ نصوصه والتى بها تتأكد للشعب ملكية وسيلة التوجيه الكبرى والتى بها أيضاً تتأكد المعانى الأصيلة للديمقراطيات والحريات وفى مقدمتها الصحافة .

وترتيباً على هذا كان من المحتم على المشرع أن يتعرض بالتنظيم لملكية الصحف كما يتعرض أيضاً لما ينبغى أن يتوفر لكل من يتصدى لهذه الخدمة العامة الجليلة الشأن تمكيناً لرسالتها من أن تؤدى على خير نحو تتحقق به أهداف المجتمع الديمقراطى الاشتراكى التعاونى .

مشروع عهد الشرف الدولى للصحفيين

بقلم المؤلف [1]

حيث أن الحروب تبدأ فى عقول البشر ، فنى عقول البشر ينبغى أن تبنى أساسا قلاع الدفاع عن السلام [1] .

وحيث أن جهل بنى البشر بعادات وحيـــاة بعضهم بعضا وبتشابه المشكلات الرئيسية فى حيـــاة السواد الأعظم من الجماهير الشعبية فى كل البلدان كان دائما على مر التاريخ سببا عاما لذلك الشك وانعدام الثقة بين شعوب العالم الأمر الذى أدى فى الأغلب الأعم إلى استغلال تلك الشعوب فى حروب ضد بعضها البعض لا تخدم مصالحها جميعا .

وحيث أن الحروب العالمية البشعة التى شهدها النصف الأول من هذا القرن إنما نشأت أساسا عن إنكار مبادىء الديمقراطية المبنية على احترام الكرامة البشرية والمساواة فى الاحترام بين الناس والترويج بدلا من ذلك عن طريق التعصب أو الجهل أو الرغبة فى التضليل لمبدأ عدم المساواة بين الناس والأجناس خدمة لمصالح الفئات الاحتكارية وتجار الحروب على اختلاف جنسياتهم .

وحيث أن نشر الثقافة على نطاق واسع وتربية الإنسانية على احترام الحق والحرية والسلام تعتبر من الأمور الأساسية لحماية كرامة الإنسان .

---

(١) المشروع المنقول هنا يكون فى الأصل الباب الثانى من مشروع الدستور الدولى للصحافة الذى وضعه المؤلف فى كتابه « الصحافة والسلام العالمي » .

وحيث أن السلام المبنى على مجرد الاتفاقات السياسية والاقتصادية بين الحكومات لا يمكن أن يكون هو السلام الذى يضمن التأييد الكامل الدائم المخلص لشعوب العالم مالم يسانده الترابط العقلى والعاطفى بين بنى البشر فى كل مكان على أساس المعرفة الواعية لجماهير الشعوب بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تؤثر فى حياتهم ومعيشتهم اليومية .

وحيث أن الصحافة بحكم اتصالها اليومى المباشر بجماهير الشعوب فى كل بلدان العالم وبحكم الثقة التى تمنحها الشعوب لصحافتها وبحكم كونها أداة كبرى من أدوات نشر الثقافة والوعى على نطاق جماهيرى واسع هى أقدر الوسائل للقيام بهذه المهام .

فإن أسرة الصحافة العالمية تعلن لشعوب العالم أجمع باسم الصحفيين الشرفاء الذين يقدسون الحقيقة ويهبون حياتهم فى سبيلها ارتباطهم بعهد الشرف الدولى التالى ليكون هاديا لهم ومرشداً فى أداء مهمتهم .

وهذا العهد إنما ينبع عن تقدير جميع العاملين فى ميدان الصحافة والإعلام بمدى جسامة مسئولياتهم أمام شعوبهم وأمام التاريخ وبالدور الايجابى الذى يمكن أن يقوموا به تدعيما لمبادىء الأمم المتحدة وللسلام العالمى والتعاون الدولى فى ظل المحبة والتفاهم بين الشعوب .

وبمقتضى هذا العهد يتعهد جميع العاملين فى جمع الأنباء والآراء أو نقلها أو توزيعها أو التعليق عليها والمشتغلون بالكتابة الدورية المنتظمة للصحف وغيرها من وسائل الاعلام الجماعى أو بالاشراف عليها على ما يأتى :

المادة الأولى

أن يراعوا خلال قيامهم بأعمالهم تدعيم فكرة التعايش السلمى بين الشعوب فى شتى الميادين السياسية والاقتصادية والعلمية .

المادة الثانية

أن يعملوا على اجتثاث جذور الفكرة الخاطئة التى يروج لها عملاء الحروب والاستعمار والتى تقول بحتمية الحرب أو بأن هناك بعض المشكلات الدولية التى لا سبيل إلى حلها إلا باستخدام القوة .

وهم لذلك يتعهدون — ولو أدى ذلك إلى التضحية بما درج على تسميته بالسبق الصحفى — بالإقلاع عن نشر أى مادة يحتمل أن تثير التعصب أو فقدان الثقة أو الكراهية أو الاحتكار أو الاستعلاء بين الشعوب أو أن يفهم منها تحبيذ العدوان بأى شكل من أشكاله وبأن يراعوا دائماً نشر المواد التى تدعم التفاهم والتعاون بين الشعوب ومعرفة بعضها بحياة البعض الآخر وتراثه وثقافته وإبراز هذه المواد ، وأن يؤيدوا دائماً مبدأ عدم السماح لأى دولة بالحصول على أى مكسب كان عن طريق العدوان أو الضغط .

وأن يوضحوا لشعوبهم الخطر الذى يحيق برفاهيتها وتقدمها من جراء توجيه الإنتاج للحرب وتبديد الموارد الطبيعية والجهود البشرية فيما لا يعود على المجتمع البشرى بفائدة .

وأن يدعوا إلى نبذ سباق التسلح الحالى ، وأن ينبهوا شعوبهم إلى خطر تجارب القنبلة الذرية والهيدروجينية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل على مستقبل الجنس البشرى وأن يجمعوها على المطالبة بتحريم إنتاج هذه الأسلحة وتجاربها ، وأن يطلعوها دائماً على الإمكانيات العظيمة لاستعمالات الذرة السلمية .

وأن يكشفوا لها عن الخطر الأكيد الذى يكمن وراء ترك مصانع الأسلحة والصناعات المتصلة بها اتصالا مباشراً فى أيدى الأفراد ورءوس الأموال الخاصة .

المادة الثالثة

أن يكشفوا لشعوبهم خطأ الفكرة التي تروج للاستعمار على اعتبار أنه الطريق إلى حل الأزمات الاقتصادية وأن يزيحوا الستار عن القوى الاحتكارية والمصالح الخاصة التي تكمن وراء هذه الفكرة التي تسببت فى حربين عالميتين فى أقل من ربع قرن من الزمان مستترة وراء مثل وطنية وتعصبية مضللة ، وأن يتعهدوا دائماً قضايا شعوب المستعمرات ويقفوا بجانبها ويدعوا لمناصرتها واحترام حقها الطبيعى فى تولى أمورها بنفسها وفى الاشتراك على قدم المساواة فى ركب التقدم الإنسانى والحياة الدولية .

المادة الرابعة

أن يبينوا لشعوبهم الخطر البالغ الكامن فى سيطرة فكرة الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح على الإنتاج وخاصة إنتاج المواد الاستهلاكية الأساسية التى لاغنى عنها للسواد الأعظم من الشعب فى حياته اليومية ، وأن يدعوا إلى تدخل الحكومات تدخلا فعالا للحد من سيطرة فكرة الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح على توجيه الإنتاج أو على التبادل التجارى سواء فى النطاق المحلى أو الدولى .

وأن يوضحوا لشعوبهم حقيقة الأوضاع الاقتصادية القائمة فى العالم وأن يبينوا لهم على وجه خاص خطر الاحتكارات على رفاهية الشعوب وطمأنينتها والدور الذى تلعبه فى إشاعة البؤس والبطالة والخوف والكراهية بين الشعوب وفى إثارة التوتر الدولى والحروب .

وأن يتتبعوا بيقظة تامة كافة المحاولات والمؤامرات الاحتكارية التى ترمى إلى تعكير صفو السلام العالمى — كمؤامرة السويس عام ١٩٥٦ — ويكشفوها للرأى العام .

وأن يدعوا إلى نبـذ كافة التـكتلات العسكرية والاقتصادية العدوانية القائمة حالياً والتى تقسم العالم إلى معسكرين وتزيد من التوتر الدولى وخطر الحرب .

المادة الخامسة

أن يتعهدوا باحترام قدسية الخبر بحيث لا تبيح صحيفة لنفسها أن تنشر الخبر ملونا بلون خاص أو موجها توجيها معيناً ، وللصحيفة مع ذلك أن تـكتب التعليق على الخبر بمـا يتفق مع سياستها فتتحاشى بذلك التحكم فى القارىء مرتين وتتيح له فرصـة عادلة لإبداء رأيه الشخصى فى الخبر وفى التعليق .

المادة السادسة

أن يراعوا دائماً زيادة ثقافتهم والارتفاع بمستوى المادة الصحفية وتجنب التفسيرات الغيبية للأحـــداث وبث روح المقاومة للتيارات والاتجاهات الفاشية وعدم الخوض فى المواضيع التى يجهلونها وإتاحة الفرصة للمختصين للـكتابة عنها ، ومراعاة تزويد القارىء بقدر كاف من المعلومات الصحيحة فى كافة النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والدولية مع البعد عن الخوض فى أخبار الجريمة وسير الأفراد ما لم يكن ذلك لمصلحة عامة ظاهرة كتحليل أسباب الجريمة أو علاجها أو تقييم العمل الفنى أو الإنتاج العلمى أو الأدبى .

المادة السابعة

أن يروجوا لقيم اجتماعية ودولية جديدة فى تقدير الأشخاص والدول يكون أساس التقدير فيها مدى الجهود التى يبذلونها فى سبيل الرقى بالحضارة البشرية وحل المشكلات الأساسية للملايين وتدعيم أسس التعايش السلمى

والرفاهية العامة بعيداً عن سيطرة عناصر الجشع والاستغلال والاستعمار الناجمة عن تقديس فكرة جمع أكبر قدر ممكن من الثروة .

وأن يدركوا بوعى مدى المسئولية الجسيمة التى تلقيها الإنسانية على كواهلهم فى سعيها العظيم لتنشئة الأجيال الجديدة من الأطفال والشباب فى كافة أنحاء العالم على الإيمان بهذه القيم الجديدة واعتناقها .

المادة الثامنة

أن يراعوا ويشجعوا كافة القوى الصاعدة فى المجتمع التى ترمى إلى تحرير الإنسان عامة — والمرأة خاصة — من أغلال الأفكار والمعتقدات والقيم الاجتماعية التى لم تعد تتفق مع التقدم العظيم الذى وصل إليه العقل الإنسانى فى مرحلته الحاليـة أو التى تقف فى سبيل التطور نحو المساواة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين بنى البشر .

المادة التاسعة

أن يبثوا ويشجعوا روح الشعور بالمسئولية بين الجماعات والأفراد والشباب بصفة خاصة ، وأن يبرزوا المثل الأخلاقيـة الخالدة التى تدعو إلى الصدق والشجاعة والعمل والحب والعفة والتزود من العلم والرحمة والأخاء والشرف والكرم والإخلاص والتواضع والإقدام والتى تنبـذ الكسل والكذب والجريمة والاعتداء والقسوة والجبن والجشع والحقـد والتواكل وإفشاء السر والخيانة والافتراء والتملق والتزوير والأنانيـة والتكبر والاستغلال والاستعباد والتعصب .

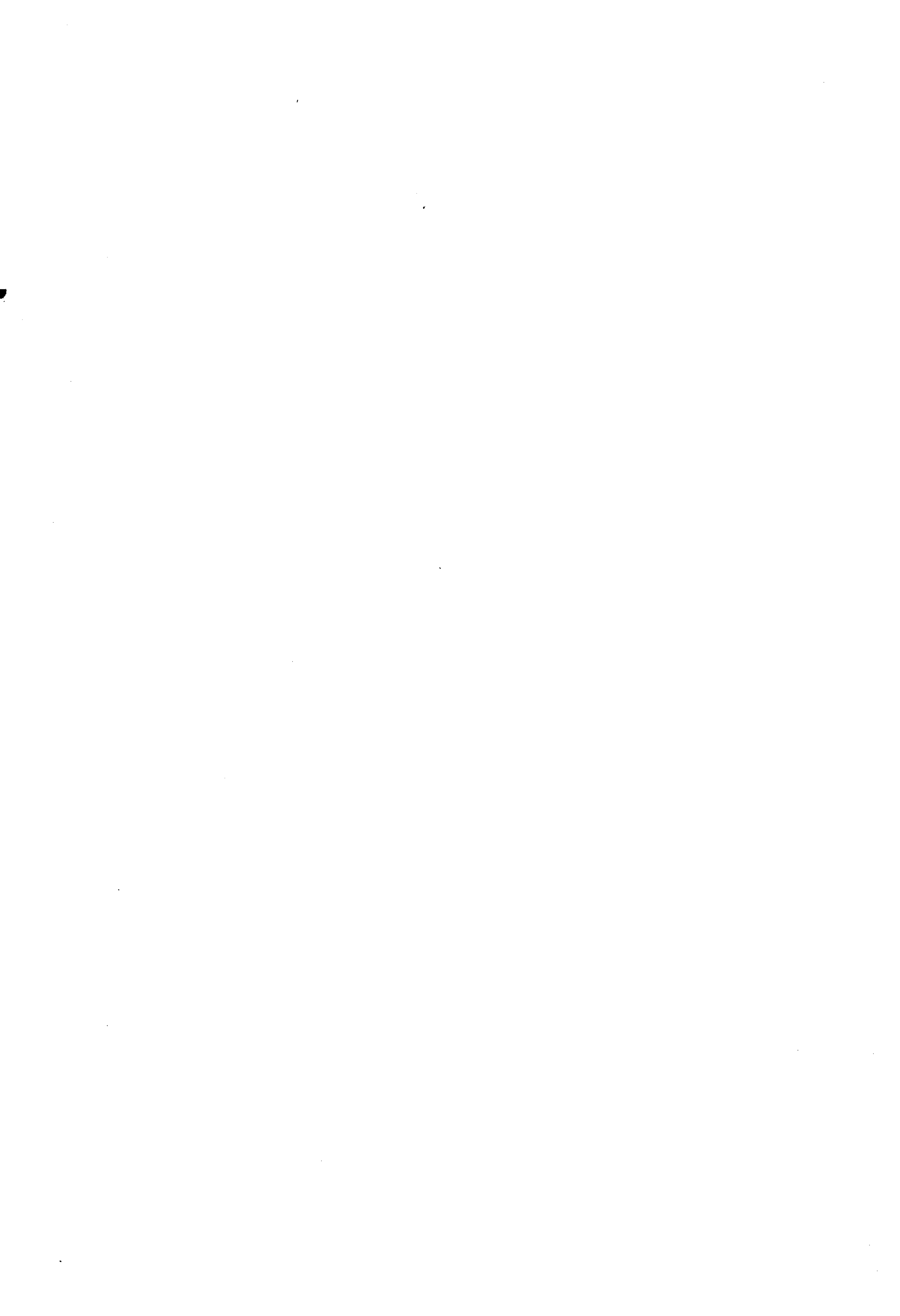
وأن يراعوا ذلك كله فى تصرفاتهم الشخصية والمهنية .

المادة العاشرة

أن يروجوا دون كلل لمبادئ الأمم المتحدة وأن يوالوا إبراز مجهودات تلك الهيئة فى شتى الميادين فى سبيل السلام والتعاون العالمى والتقدم والرفاهية المشتركة للجنس البشرى ، وأن يتابعوا بيقظة كافة المحاولات التى ترمى إلى التحقير من شأن تلك الهيئة أو فروعها أو وكالاتها المختلفة أو الانحراف بها لخدمة المصالح الأنانية لأية دولة من الدول أو تجاهلها والعمل خارج نطاقها ويكشفوا عنها للرأى العام العالمى .

المادة الحادية عشرة

أن يحترموا الأحكام التى تصدرها المحاكم الصحفية التأديبية — بناء على نص الملحق المرفق بهذا العهد — على المخالفين لتعهداتهم بموجبه .



توصيات

المؤتمر الخاص بإدخال وتطور التليفزيون في أفريقيا [1]

١ — البرامج :

لما كان من المسلم به ، أن التليفزيون ، وخاصة بالبلاد المتطورة ، يعتبر من الناحية التأثيرية أكبر قوة من أى وسيلة أخرى من وسائل الاتصال الجماهيرى ، وإيمانا منا بأنه يتعين على أولئك المسئولين عن إدارته أن يكونوا من ذوى الكفاءة الحقة ، ممن وضعوا نصب أعينهم خدمة الشعب كوحدة متكاملة ، مستخدمين التليفزيون من أجل أعظم الأهداف القومية فحسب ، لذا فإن المؤتمر يوصى بما يلى :

١ — أنه فى سبيل الوصول إلى الوحدة القومية :

(ا) يتعين على الهيئات الإذاعية الإفريقية أن تستخدم كل نوع من أنواع البرامج التليفزيونية المناسبة ، التى يمكنها أن تساعد على ربط أجزاء الأمة معاً ، ثقافياً وفكرياً ، واقتصادياً .

(ب) يتعين أن تخدم مثل هذه البرامج أهداف الأمة كوحدة متكاملة أكثر من خدمتها لقطاعات تحددها اعتبارات جغرافية أو عنصرية أو اقتصادية أو اجتماعية بيد أنه يتعين بذل جهد كبيرة للحفاظ على التراث الثقافى الوطنى للجماعات المختلفة السلالات فى البلاد بأكملها .

---

(١) نظمت اليونسكو هذا المؤتمر فى لاجوس فى سبتمبر ١٩٦٤ وحضره طائفة من الخبراء العالميين وبعد مناقشات استمرت أسبوعين انتهوا إلى هذه التوصيات التى نوردها هنا لتكون فى متناول الباحثين .

(حـ) يتعين أن يستخدم التليفزيون كقوة باعثة على التطور الاجتماعى وعلى تطور طرائق الحياة بما يتفق والعصر الحديث ، وعلى إثارة المساهمة الشعبية الخلاقة فى مجالات النشاط الثقافية والاجتماعية والروائية ولا سيما بالنسبة للشباب .

(ى) لا بد من إعداد التسهيلات الكافية ، ليس بالنسبة لعرض البرامج من داخل الاستديو فحسب ، وإنما يتعين أيضاً تيسيرها إما عن طريق الإذاعات الخارجية ، وإما عن طريق الوحدات الفيلمية ، وذلك ليتم عرض برامج تعكس حياة الشعب فى البلاد بأكملها .

٢ — على الهيئات الإذاعيـــة أن تنظر إلى التعليم ، كحقل يجب أن يلعب فيه التليفزيون دوراً حيوياً وأن تعطى له أسبقية الدور . وتسليما بهذا :

(ا) على هيئات التليفزيون أن تيسر إمكانياتها لإذاعة البرامج على المدارس والمعاهد التربوية ، كما يتعين تيسيرها لتدريب المدرسين .

(ب) يتعين استخدام التليفزيون كأداة فعاله فى محاربة الأمية وإزاله الحواجز اللغوية .

(حـ) إن التطور القومى لا بد وأن يعاونه ويعمل على تشجيعه الإذاعات التليفزيونية العريضة ، وكذلك البرامج الأخرى الخاصة بارتقاء المجتمع من الناحية التعليمية بجانب تلك البرامج التى تصور المشروعات القومية وتلك التى تخصص لزيادة تعداد العمال الماهرين وكفاءتهم .

(ى) إن المدرسين المكلفين بمساعدة المشاهدين للاستفادة من البرامج التعليميه ، لا بد وأن يدربوا بعناية فائقة لاستخدام البرامج بطريقة فعالة

مؤثرة ، كما لا بد وأن يساهموا مساهمة وثيقة مع هيئة التليفزيون فى تخطيط مثل هذه البرامج .

٣ — أنه يتعين وجود أقصى درجة من درجات حسن النيه والتعاون بين هيئات التليفزيون والوكالات الأخرى المسئولة عن نشر التعليم والاعلام ، وذلك ان اريد للشعب أن يستفيد من تلك الوسيلة إلى أقصى حد ممكن . كما أن مثل هذه الوكالات لا بد وأن تتعاون معا ، ماديا عن طريق المعرفة المزودة بالخبرة فى استخدام التليفزيون إلى أقصى حد ممكن لتحقيق هذه الأهداف ، وينبغى على هيئات التليفزيون أن تكون مستعدة لبدء هذا التعاون واثارته ، وراغبة فى نفس الوقت فى أن تضع امكانياتها بين أيدى الجميع ، لكى يصبح التليفزيون جزءاً متكاملا من مجهودات تلك الوكالات المهتمة بتثقيف الرأى العام .

٤ — للارتقاء بالنهضة الثقافية فى البلاد المتطورة يجب على هيئات التليفزيون فى أفريقيا أن تتخذ خطوات واعية حازمة لتشجيع الفنون الابداعية والاستعراضية والارتقاء بها فى مناطق وجودها وذلك لتحقيق مصلحتها الخاصة والمصلحة القومية معا .

٥ — لكى نصل إلى تفاهم أوثق صلة وتعاطفا بين الشعوب الأفريقية ، لا بد للهيئات الإذاعيـــــة الأفريقية أن تقوم بتنظيم تبادل دورى للبرامج فيما بينها ، تلك البرامج التى تصور الثقافة تصويرا صادقا ، وطريقة الحياة والخصائص الطبيعية المميزة لأصل البلاد .

٦ — أنه بينما يؤكد الاجتماع أهمية احتفاظ برامج التليفزيون ، بهيئات الاذاعة الأفريقية بأكبر قسط ممكن من المادة الوطنية ، فانه لا يتجاهل فى نفس الوقت البرامج غير الأفريقية ، على أن يكون هدف

البرامج توسيع افاق المشاهدين ، وتعميق إدراكهم وعلى أن تكون القاعدة العامة فى اختيار تلك المادة البراجية هى :

نوعها ، وقيمتها التعليمية أو الثقافية أو الترفيهية وكذلك تلك المستويات الأخرى التى تتطلبها الدولة صاحبة الاختصاص .

٧ — أنه ، حتى تستطيع محطات التليفزيون الأفريقية استخلاص أعظم فائدة من تلك المسلسلات التليفزيونية المستوردة ، فانه يتعين على القائمين بشرائها واجب مراعاة ملاءمتها لظروف وخصائص البيئة .

٨ — أنه يتعين أن يحظى بعناية خاصة موضوع تكوين جمعية أفريقية للاذاعيين المهنيين وذلك للحث على سيادة أعظم المستويات المهنية لبرامج التليفزيون على الا تشمل المهارة الفنية فحسب وإنما تشمل أيضا اقسام اختيار هذه البرامج وطريقة عرضها بالتكامل والموضوعية لتحقيق الأهداف المنشودة .

٩ — اعترافا بصعوبة موضوع حق التأليف والنشر ، وعلاقته العامة باستخدام المواد البراجية التى ترتب لها حق فى التأليف أو النشر فان منظمة اليونسكو تضع تحت تصرف الهيئات الإذاعية فى أفريقيا مسودة تشريع خاص ، بحقوق التأليف والنشر ، ويمكن للعاملين بتلك الهيئات أن يقوموا بدراستها مع تخويلهم حق ادخال التعديلات اللازمة على النصوص القائمة وذلك لتيسير عمل البرامج بطريقة أكثر بساطة وأقل تكلفة .

(ب) النظام التأسيسى والتمويل :

١ — اعترافا بالعلاقة المتداخلة الوثيقة بين أهداف الخدمة التليفزيونية ونظمها القانونية وأساليب تمويلها ، فان المؤتمر يوصى بما يلى :

قبل انشاء أى خدمة تليفزيونية ، يتعين القيام بعمل تخطيط مبدئى لاهدافه وأغراضه الرئيسية وذلك قبل الشروع فى وضع نظامه التأسيسى ، ومن ثم تستطيع النظم القانونية وأساليب التمويل أن تمكن الخدمة التليفزيونية من العمل فى ظل مسئوليتها الكاملة .

٢ — ويوصى المؤتمر بأن :

على أولئك المسئولين عن هيئات التليفزيون أن يعملوا على جذب أولئك العاملين فى تخطيط المسائل الاقتصادية والعاملين فى تخطيط الخدمات الاجتماعية والتربوية إلى قوة مساهمة التليفزيون الفعالة لتحقيق أهدافهم . وعلى ذلك يتعين عليهم أن يتأكدوا من أن أولئـــك المسئولين عن التخطيط انما يبدون فى تخطيطهم اهتماما كافيا بالخدمات التليفزيونية ، كما عليهم ان يتأكدوا أيضا من أن المخصصات السنوية من الميزانية القومية - تعتبر كافية لأن تمكن التليفزيون من تحقيق قدرته الكاملة كوسيلة عميقة النفع للتطور القومى .

٣ — اعترافا بأهمية الدور العظيم الذى يؤديه التليفزيون فى تنمية الدول الأفريقية ، وبغرض الوصول إلى هدف مواءمة النظام التأسيسى وتنسيق الخدمات التليفزيونية القومية مع مسئولياتها الاجتماعية الخاصة ، والمسئوليات التربوية والثقافية قبل الأمة .

فان المؤتمر يوصى بأن :

إنشاء مجالس قومية استشارية للتليفزيون لابد وأن تحظى باهتمام هيئات التليفزيون الأفريقية المختلفة وذلك كوسيلة لتحسين قوة تأثير فاعليتها وصدى وقعها فى نفوس المشاهدين من أهل البلاد . ويتعين أن تتضمن هذه المجالس بالاضافة إلى ممثلين عن الخدمات الاذاعية والتليفزيونية

القومية قادة من جميع قطاعات الحياة المناسبة ولا سيما المهنيين فى مجالات التربية والأعلام والفنون الابداعية . وينبغى على المجالس القومية الاستشارية أن تقوم أما بطريق مباشر ، وأما عن طريق لجان استشارية متخصصة بابداء المشورة بالنسبة لبرامج التليفزيون المختلفة ، على أن تأخذ فى اعتبارها تلك المسئوليات التربوية والاجتماعية والثقافية الواسعة لهيئة التليفزيون صاحبة الشأن .

٤ — نظراً لحقيقة أن كثيراً من الدول الأفريقية تحتاج إلى المشورة المتسمة بالخبرة فيما يختص بإنشاء وتطوير الخدمات التليفزيونية .

فان المؤتمر يوصى بأن :

توجه الدعوة إلى كل من منظمة اليونسكو والاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية بأن تقوم بارسال فريق مترابط ، يضم أحد المتخصصين فى البرامج ، وآخر متخصصا فى الهندسة السلكية واللاسلكية ، إلى تلك الدول الأفريقية التى بدأت الخدمة التليفزيونية بها حديثا ، أو تلك التى هى على وشك أن تبدأ فيها الخدمة التليفزيونية ، وذلك لاسداء النصح المتسم بالخبرة وإعداد تقارير تتضمن توصيات خاصة مميزة تعرضها على الحكومات .

(ج) مشاكل الارسال والاستقبال :

١ — لما كان المؤتمر قد لاحظ أهمية التعاون الاقليمى بالنسبة للتليفزيون وخاصة فيما بين الدول الأفريقية وإذ أن المؤتمر أخذ فى اعتباره مستقبل التعاون الممكن بين شبكات التليفزيون الأفريقية ، ونظراً للحاجة الماسة لضرورة التناسق فى المجال الفنى .

فان المؤتمر يوصى بما يلى :

(ا) أنه ينبغى على الهيئات القومية صاحبة الشأن بالتضامن مع الاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية والهيئات الأخرى

صاحبة الاختصاص أن تتخذ خطوات نحو اقامة مستويات مشتركة بين الاذاعة التليفزيونية وأجهزتها ، فتعمد على قدر الامكان إلى التبادل المنظم لكل من البرامج الحية والبرامج المسجلة (على افلام وشرائط فيديو) .

(ب) أنه بالتعاون الوثيق مع الهيئات القومية المحليـــة المختصة بالاتصالات السلكية واللاسلكية . وبإنشاء دوائر سلكية ولاسلكية محلية فإن كل مجهود يبذل لضمان استخدام مثل هذه الدوائر مستقبلا لنقل الإشارات التليفزيونية سيصبح ممكناً .

(ج) إذا كان ثمة تخطيط فى بلد ما ، لإنشاء شبكة قوميه محلية من الوصلات اللاسلكية على الموجات السنتيمترية ، فلا بد من استطلاع آراء البلاد المجاورة . ذلك أنه يصبح فى مكنتها أن ترتبط فى سهولة بمثل هذه الشبكات . ومن ثم تضمن مستقبلا التطور التقدمى لتبادل البرامج الحية على المستوى الاقليمى ثم على مستوى القارة .

(د) فى حالة إنشاء شبكة لا سلكية افريقية ، تحت رعاية الاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكيه ، فلابد من مراعاة أن تكون هذه الشبكة متاحة لأغراض الإرسال التليفزيونية .

٥ — أن المؤتمر تبياناً لرأيه حول موضوع ارتفاع تكاليف أجهزة الاستقبال التليفزيونية فى أفريقيا ورغبة فى ضمان أن يستفيد أكبر عدد ممكن من الشعب من البرامج ، التى تهدف إلى تنمية البلاد الافريقية .

فإن المؤتمر يوصى :—

(ا) بأن يسارع كل من الاتحـــاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية ، ومنظمة اليونسكو فى إعداد التخصصات النوعية

والدراسات الأخرى ، التى تهدف إلى إنتاج أجهزة استقبال تليفزيونية منخفضة التكاليف تتلاءم مع ظروف أفريقيا .

(ب) أنه بطريقة قيادية تعتمد على أقصى استخدام فكرى للمصادر الطبيعية الموجودة بالقارة تقوم اللجنة الاقتصادية الافريقية بهيئة الأمم المتحدة بمتابعة استطلاع الرأى مع الدول الأعضاء وذلك فيما يختص بإنشاء وحدات تجميع أو إنتاج لأجهزة التليفزيون تستطيع أن تعمل بطريقة اقتصادية ومن ثم يمكن إمداد السوق بأجهزة استقبال تليفزيونية ذات أثمان مقبولة .

(ج) بدعوة حكومات الدول الأفريقية أن تنظر باهتمام إلى وسائل وأساليب خفض تكاليف أجهزة التليفزيون بطريقة فعالة ، على أن تتضمن اسقاط ضرائب الاستيراد مؤقتاً أو انقاصها كما تتضمن عن طريق تنظيمات خاصة تيسير شراء أجهزة التليفزيون المخصص استعمالها للمدارس ووحدات المشاهدة الجماعية . ويتعين بذل اهتمام للتأكد من أن تلك الأجهزة التى وافقت عليها أى سلطة مختصة إنما هى حقيقة مقامة فى أماكنها ، كما يتعين التأكد أيضاً من أن التنظيمات الكافية للخدمة ، إنما تبذل لصيانتها .

(د) نظراً للحاجة الملحة إلى أجهزة تليفزيون تتميز بالكفاءة ومنخفضة التكاليف ، وتحتاج حين تشغيلها إلى أقل صيانة ممكنة ، بما فى ذلك تلك الأجهزة التى تستطيع أن تعمل فى مناطق لا وجود للكهرباء فيها ، فإن المؤتمر يلتمس من منظمة اليونسكو أن تتابع أبحاثها العلمية الخاصة بتطور أجهزة التليفزيون (الترانزستور) التى تعمل بالبطاريات وكذلك وسائل الاستقبال الأخرى بتلك المناطق التى لا تعرف الكهرباء .

(د) هيئة التدريب :

إيمانا منا بأن التليفزيون يستطيع أن يلعب فقط دوره الفعال لو أن برامجه كانت على أعلى مستوى من الجودة وأنه لكى نصل إلى هذا الهدف فإن العاملين فى التليفزيون لا بد وأن يتلقوا تدريبات على أعلى المستويات المهنيـــة .

لذا فإن المؤتمر يوصى بما يلى :

— أنه من حيث المبدأ لا بد وأن يتم تدريب العاملين فى التليفزيون أولا فى بيئات وطنية فاذا أصبح فى عير الإمكان أن يتم التدريب فى الوطن الأم على الوجه الأكمل ، فلا بد من السعى وراء فرص التدريب بالبلاد الأفريقية الأخرى .

٢ — أنه لكى تضمن فرص تدريب على مستوى مرتفع ، يمكنها أن تواجه احتياجات البلاد المختلفة فان منظمةاليونسكو ، ينبغى عليها كحقيقة ملحة ، أن تقوم بدراسة الاقتراح الذى يقضى بأن فرص التدريب الحالية والمستقبلة للعاملين بهيئة إذاعة نيجيريا ، هذه الفرص يمكن أن تمتد حتى تسمح بمواءمتها لأكبر عدد ممكن من طلاب الأنظمة الإذاعية الأفريقية الأخرى ، والذى يقضى أيضاً ، مع احتجاز الخطط الخاصـــة بضرورة اكتشاف امكانيات الحصول على مساعدة اقتصادية كافية ، دولية ، وثنائية ، لتحقيق هذا المشروع . وكذلك فى حالة تكوين البرامج التعليمية ، ينبغى توجيه اهتمام كبير للتدريب الخاص بالإذاعة التعليمية بما فى ذلك تعليم مبادىء القراءة والكتابة والعلوم الطبيعية .

٣ — أن يكون موضع دراسات مستقبـــلة ذلك الاقتراح الخاص باقتباس وسائل التدريب المتعارف عليها فى غانا .

٣ — بأن ينظر جميع أعضاء المؤتمر بعين التقدير إلى اقتراح الجمهورية العربية المتحدة الخاص بأن تمتد طرائق التيسير الخاصة بمركز التليفزيون التعليمى المقترح إنشاؤه بالجمهورية العربية المتحدة — إلى جميع العاملين ممن يتكلمون اللغة العربية بالبلاد الأفريقية [١].

٥ — لما كانت هناك قيمة متميزة خاصة بالتدريب الإذاعى على المستوى العالى بالبلاد الأخرى — بالنسبة للعاملين الذين تلقوا — من قبل — مستوى معيناً من التدريب أو الخبرة فان اختيار هؤلاء الأشخاص لمثل هذه التدريبات المتميزة لا بد وأن يتم بموافقة الهيئـــة الإذاعية صاحبة الاختصاص التى يتعين عليها تقديم تقرير سابق عن مؤهلات الطالب إلى الهيئة المختصة بالتدريب — وذلك حتى يمكن استبعاد غير الملائمين واختيار أرفع المؤهلين مستوى .

٦ — بأنه كحقيقة واقعة ، يتعين على هيئات التليفزيون بالتعاون مع المشروعات القائمة بالتدريب ، أن تأخذ على عاتقها مهمة القيام بالتنظيمات الضرورية بالنسبة لطلاب التدريب لإعفائهم من التزاماتهم الأخرى ، حتى يستطيعوا أن يشتركوا اشتراكا كليا فى برامج التدريب .

(ﻫ) التعاون الاقليمى :

اعترافاً بما للتعاون المتبادل من مزايا وفوائد عظيمة فان من رأى المؤتمر أن التعاون الوثيق بين منظمات التليفزيون فى افريقيا يعتبر من الأمور المرغوب فيها إلى حد كبير كما ينبغى أن يقوم إتحـــاد المنظمات الإفريقية للاذاعة والتليفزيون بمتابعته فى نشاط كبير .

---

(١) مثل الجمهورية العربية المتحدة فى المؤتمر الأستاذ سعد لبيب سكرتير عام التليفزيون العربى وله فضل إمدادنا بهذه التوصيات .

١ — وفى هذا الصدد فإن المؤتمر يوصى بأن تقوم منظمة « ارتنا » باعطاء مزيد من الاهتمام للاقتراح التالى : —

أن ينشأ مركز للتليفزيون التعليمى بأفريقيا ، تكون من بين مهامة المتعددة :

(ا) أن يعمل كمركز تصفية لتبادل المواد البرامجية ، والعاملين الفنيين ، وكذلك الأفكار فيما بين الأعضاء .

(ب) أن يسهم فى البحوث الخاصة بالطرق والوسائل المؤدية إلى التعاون الوثيق بين الأعضاء .

(ح) أن يمكن العاملين بالبرامج التعليمية — فى الدول الأعضاء — من الدراسة بالمراكز الرئيسية واستخدام الطرق والتيسيرات اللازمة لاعداد المناهج المتخصصة بالنسبة لصالح بلادهم فيما يختص بموضوعات كالتاريخ والجغرافيا ، ونظم الحكم والفن والثقافة بالدول التى تشملها الدراسة .

٢ — والمؤتمر يلاحظ باهتمام ، كما أنه يؤيد فى قوة الاقتراح القائل بأنه فى سبيل ابراز « عام » التعاون الدولى للامم المتحدة ، وكذلك الاحتفال بالعيد المئوى للاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية ، فى سبيل ذلك يتعين اصدار مجلة أسبوعية عن الأفلام وتنظيمها بين الدول الأفريقية

٣ — يرحب المؤتمر بانشاء مركز اقليمى بمدينة القاهرة يختص بالأفلام التليفزيونية والبرامج التسجيلية لخدمة الدول الأفريقية . كما يلاحظ فى غبطة أن تليفزيون الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لأن يأخذ على عاتقه القسط الأكبر من مسئولية تمويل المركز الجديد . كما أن المؤتمر يؤيد المطلب الخاص بأن تقدم منظمة اليونسكو عونها فى سبيل انشاء هذا المركز .

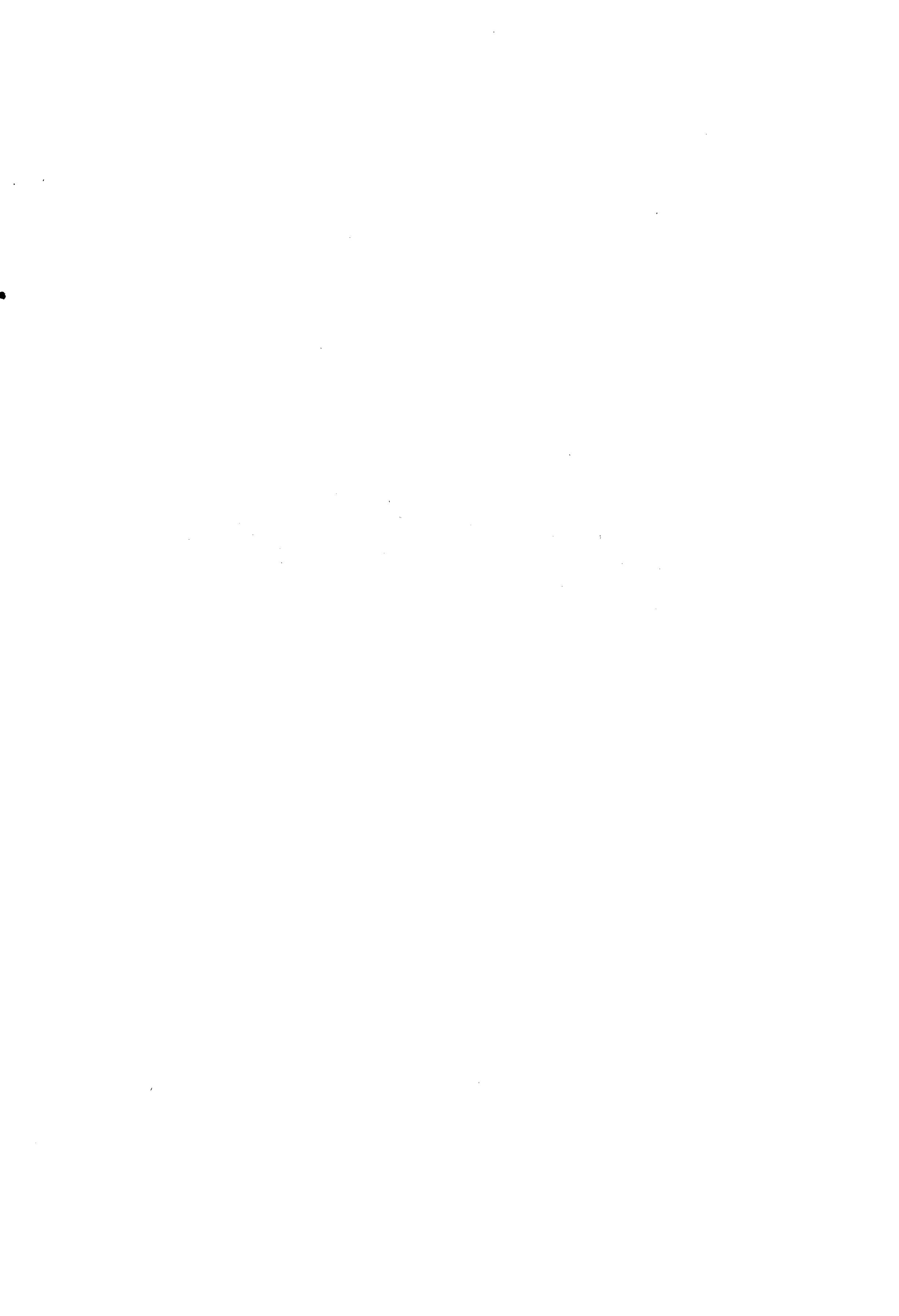
(و) علاقات المشاهدين والاستقصاء :

اعترافا بأن علاقات المشاهدين وكذلك عملية استقصاء الحقائق ، تلعب كلها دوراً حيويا فى تأكيد استطاعة برامج التليفزيون أن تكون ذات أثر بالغ عظيم المشاهدين لذلك ، فان المؤتمر يوصى بما يلى :

(ا) يتعين على هيئات التليفزيون أن تضمن توفير الوسائل الكافية لاقامة وتدعيم علاقات المشاهدين وكذلك توصيل النتائج اللازمة من الاستقصاءات وانعكاساتها على — المشاهدين — غير أن المؤتمر يشير إلى أنه بينما يعتبر المقاييس الكمية ذات فائدة فى علاقاتها بالبرامج المخصصة لجذب انتباه جماهير المشاهدين إلا أن تدعيم المقاييس النوعية تعد ذات فائدة أعظم بالنسبة لمخططى البرامج .

(ب) ينبغى أن تتوفر البحوث المتقنة من وجهات النظر الاجتماعية والنفسية عن أمثل الطرق لاستخدام التليفزيون كوسيلة لتحسين سبل الحياة بالنسبة لشعوب دول أفريقيا . وهذه البحوث يمكن أن يقوم بها خير قيام اناس عاشوا بين شعوب أفريقيا وتفهموها .

المراجع العربيّة والأجنبية



المراجع العربيـــة

الإذاعة المصرية : الإذاعة المصرية فى عشر سنوات

إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية (مكتبة الآداب)

تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر (مكتبة الآداب)

الصحافة الأمريكية (سجل العرب)

أبو نظـــارة مكتبة الآداب)

أحمد سويلم العمرى : الرأى العام والدعاية (الدار القومية)

حسن شحاتة سعفان : التليفزيون والمجتمع (الطبعة الأولى)

خليل صابات : الصحافة : علم ، فن ، رسالة ، استعداد (دار المعارف)

درينى حشبة : أشهر المذاهب المسرحية (الدار المصرية)

عباس أحمد رمضان خليفة : دور التليفزيون فى المجتمعات النامية (التليفزيون العربى)

عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة (دار الفكر العربى)

الإعلام له تاريخه ومذاهبه (دار الفكر العربى)

فؤاد رشيد : المسرح العربى (كتب للجميع)

محمد إسماعيل محمد : الإذاعة

محمد مندور : فنون الأدب العربى (المسرح) (دار المعارف)

الثقافة وأجهزتها (دار المعارف)

محمود نجيب أبو الليل : تاريخ الصحافة فى أوروبا وأمريكا منذ بدايتها حتى قيام الحرب العالمية الثانية (القاهرة ١٩٥٤)

مختـــار التهامى : الصحافة والسلام العالمى (توزيع دار المعارف)

مصطفى الحفناوى : الدعاية السياسية والاستقلال (القاهرة ١٩٥٤)

مركز التنسيق الثقافى العربى : السينما والثقافة العربية (بيروت ١٩٦٤)

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

المراجع المترجمة

بان باصل : فن التليفزيون
ترجمة تماضر توفيق (الدار القومية)

جريرسون : السينما التسجيلية
ترجمة صلاح التهامى (الدار المصرية)

جوردن أولبورت وليوبوستمان : سيكولوجية الإشاعة
ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل (دار المعارف)

ديفيد وايزوتوماس روس : الحكومة الخفية
ترجمة جورج عزيز (دار المعارف)

ر . بينـــار : تاريخ المسرح
ترجمة أحمد كمال يونس (الألف كتاب)

شلدون تشينى : تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة
ترجمة دريني خشبة (الدار المصرية)

والتركينجسون وآخرون : الإذاعة بالراديو والتليفزيون
ترجمة نبيل بدر (الدار المصرية)

ويلبورشرام وآخرون : التليفزيون وأثره فى حياة أطفالنا
ترجمة زكريا سيد حسن (الدار القومية)

المراجع الأجنبية

Albig, William : Modern Public Opinion (New York 1956).

Beadle, Gerald : Television, A Critical Review. (G. Allen & Unwin, 1963).

Baily, K., & Edited by : The Television Annual. (Odhams Press, London).

Baechlin, P., and Muller-Strauss, M. : Newsreel Across The World. (Uneco, Paris 1952).

Cassirer, H. : Television Teaching Today. (Unesco, 1960).

Commission on the Freedom of the Press : A Free and Responsible Press. (University Press, Chicago 1947).

Dartington Hall Trustees, sponsored by : The Factual Film. (Oxford University Press, 1947).

Desmond, R.W. : The Press and World Affairs. (N. York 1937).

Dickinson, T. and De La Roche, C. : Soviet Cinema. (Falcon Press, London, 1948).

Hoggart, R. : The Uses of Literacy (Penguin 1963).

Lambert, R. S. : Propaganda. (T. Nelson & Sons, 1941).

Lamm, Martin (Translated by Ellioti, K.) : Modern Drama. (Basil Blackwell, Oxford, 1952).

Lawson, J. H. : Film in the Battle of Ideas (New York, 1953).

Lazarsfeld, P. F. and Stanton, F. (Edited by) Radio Research. (New York, 1944).

Macdougall C. D. : Understanding Public Opinion. (New York, 1952).

Manvell, R. : Film and the Public. (Penguin, 1955).

Film. (Penguin, 1950)

Mott, F. L. : American Journalism. (New York, 1941).

Mayer, J, P. : Sociology of Film. (London, 1948)

Noble, Peter : The Negro in Film. (Knopp, Drewett & Sons Ltd, London).

Royal Commission on the Freedom of the Press (Report). (London, 1954).

Shramm, Wilbur : Responsibility in Mass Communications. (New York 1957).

Siedert, Petereon and Shramm : Four Theories of the Press. (Urbana, 1956)

Siepmann, C. A. : Radio, Television and Society. (New York, 1950).

Svirsky, L. (edited by) : Your Newspaper (N. York, 1947).

Thomas, H. : The Truth About Television. (London, 1962).

Unesco : Newsreel Across The World. (Paris, 1952).

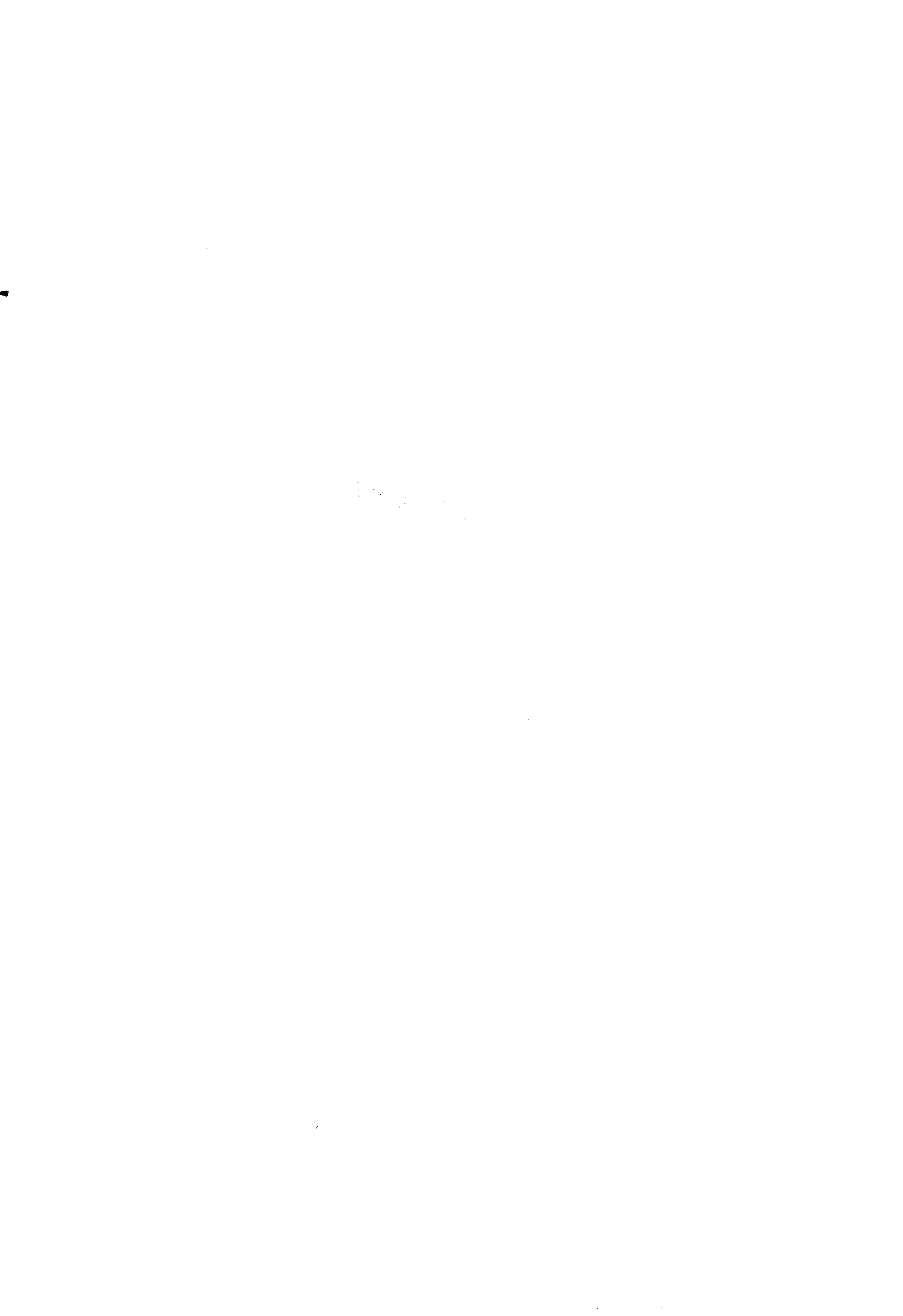
News Agencies : (Paris, 1953).

La Television Dans Le Monde. (Paris, 1954).

عيسى يوسف اللويشي

الفهرس

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem



محمد أبو يوسف الدمويشي

الإعلام والتحول الاشتراكى

المقـــدمة

الصفحة

مقدمة فى نظريات الإعلام والتخطيط الإعلامى فى مرحلة التحول الاشتراكى ١

القسم الأول : الصحافة ووكالات الأنباء

الفصل الأول : الصحافة ١

ظهور الصحافة وتطورها ٤

الصحافة وتوجيه الجماهير ٨

تحليل محتويات الصحيفة ٩

الصحافة والرأى العام ١١

الصحافة الصفراء ١٤

الصحافة والاحتكارات وحرية الرأى ١٧

مسئولية الصحافة ٢١

تنظيمات الصحافة فى الجمهورية العربية المتحدة ... ٢٣

الصحافة المصرية والتحول الاشتراكى ٢٥

الفصل الثانى : وكالات الأنباء ٢٩

نشأة وكالات الأنباء وتطورها ٣١

الصفحة

وكالات الأنباء الحالية ومناطق نفوذها... ... ... ٣٣
وكالات الأنباء والرأى العام العالمى ٣٤
وكالة أنباء الشرق الأوسط والتحول الاشتراكى ٣٦

القسم الثانى : الإذاعة

الفصل الثالث : الإذاعة ٣٩
الإذاعة والرأى العام المحلى ٤٢
الإذاعة والرأى العام العالمى ٤٥
الإذاعة والحرب الباردة ٤٧
الإذاعات السرية ٤٨
الإذاعات الاستعمارية والبلدان المتخلفة ٥٠
الإذاعة المصرية وحرب الإذاعات ٥١
الإذاعة المصرية والتحول الاشتراكى ٥٤
نحو ميثاق إذاعى دولى ٥٥
الاتحاد الاشتراكى ودستور المثقفين ٥٦

القسم الثالث : السينما

الفصل الرابع : السينما : مقدمة فى تاريخ السينما وتطورها ٥٩

الصفحة

نشأة السينما ٦٢
خصائص السينما ٦٢
مهمة السينما ٦٣

الفصل الخامس : السينما الأمريكية ٦٥
هدف الانتاج السينمائى الأمريكى... ... ... ٦٧
السينما الأمريكية وما يريده الجمهور... ... ... ٦٨
السينما الأمريكية والشباب ٧٠
السينما الأمريكية والأطفال ٧١
لجان التحقيق والسينما الأمريكية ٧٣
السينما الأمريكية والرأى العام العالمى ٧٦

الفصل السادس : الأفلام التسجيلية والجرائد السينمائية ٧٩
نشأة الجرائد السينمائيـة ٨١
خصائص الجرائد السينمائية الاخبارية... ... ... ٨٢
الجريدة السينمائية والرأى العام ٨٣

الفصل السابع : السينما السوفيتيـة ٨٧
الواقعية الاشتراكية فى السينما ٨٩
أخطاء السينما السوفيتية ٩١

الصفحة

الفصل الثامن : السينما المصرية ٩٣
نشأة السينما المصرية وتطورها ٩٥
السينما المصرية قبل الثورة ٩٦
السينما المصرية بعد الثورة ٩٨
السينما المصرية والتحول الاشتراكى ٩٩
السينما المصرية والعالم العربى ١٠٠

القسم الرابع : التليفزيون

الفصل التاسع : التليفزيون ١٠٣
نشأة التليفزيون وتطوره ١٠٦
مهمة التليفزيون ورسالته ١٠٧
التليفزيون والرأى العام المحلى ١٠٨
التليفزيون والرأى العام العالمى ١٠٩
التليفزيون الأمريكى ١١١
التليفزيون والأجيال القادمة ١١٢
التليفزيون والبلدان النامية ١١٦
التليفزيون العربى والتحول الاشتراكى ١١٧

الصفحة

القسم الخامس : المسرح

الفصل العاشر : المسرح ١٢١
نشأة المسرح وتطوره ١٢٣
المسرح والرأى العـــام ١٢٤
فن الـكوميديا والصحافة ١٢٥
النهضات القومية والنهضات المسرحية ١٢٧
وظيفة المسرح فى عالمنا المعاصر ١٢٩
نشأة المسرح المصرى وارتباطه بالرأى العام ... ١٣٠
المسرح المصرى وثورة ٢٣ يوليو... ... ... ١٣٢
المسرح المصرى والتحول الاشتراكى... ... ... ١٣٣

الخاتمـــة

الفصل الحادى عشر :

أجهزة الاعلام ومسئولياتها فى بلادنا ١٣٥
الملاحق ١٤٣
المراجع العربية والأجنبية ١٧٣
الفهرس ١٨١